تكملة الأحكـام

تكملة الأحكام
والتصفية من بواطن الآثام

تأليف

الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى عليه السلام

٧٤٦هـ-٨٤٠هـ

تحقيق

عبدالله بن حمود العزي

تم الصف والتحقيق بمركز العدل والتوحيد للدراسات والبحوث والتحقيق

اليمن - صعدة ص.ب ٩٠١٦٨- ت ٥١٤٠٠٦

وتم الإخراج بمركز النهاري للطباعة - صنعاء-الدائري الغربي

إخراج: عبد الحفيظ حسن النهاري

مقدمة التحقيق

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد الأمين وعلى آله الطاهرين، وبعد:

فإن فقه العبادات والمعاملات حظي بدراسة واسعة في جميع أبوابه وفصوله وتفريعاته وأحكامه، من واجب ومسنون، ومندوب ومحرم ومكروه، مما جعله قريب التناول، وافي الغرض، بينما ما يمكن أن نسميه -إن جاز التعبير- بالفقه النفسي والأخلاقي لم يلق نفس العناية الدقيقة والواسعة كسابقه.

أهمية علم التصوف

وهو جانب مهم في الإسلام، وركن أصيل في تمام الإيمان، ولو تأملنا مقتضيات أركان الإسلام الأساسية لوجدناها تدعو إليه، وتعين عليه، فمقتضى الصلاة هو النهي عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: {إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}[العنكبوت:٤٥]، ومقتضى الصيام هو توليد التقوى، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[البقرة: ١٨٣] ومقتضى الزكاة هو طهارة النفس وتزكيتها قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}[التوبة:١٠٣]، ومقتضى الحج هو صفاء القلب، ووحدة الصف، والابتعاد عن الفسوق، والالتزام بالمناسك، قال تعالى: {فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ}[البقرة: ١٩٧] وكل هذه المقتضيات موضوعها الفقه النفسي والأخلاقي، إذ أنه يناقش أمراض القلب، كالحسد، والرياء، والعجب، والنفاق، والتكبر، والفخر، وغيرها، وأمراض

اللسان كالكذب، والنميمة، والغيبة، وأمراض الفرج كالزنا ونحوه. ويدعو إلى مكارم الأخلاق كالصدق، والتواضع، والإخلاص، والتقوى، والزهد، والعبادة، وقيام الليل، وذكر الله تعالى، فإذا كنا نقرأ فقه المعاملات لمعرفة الحلال، والحرام، والمندوب، والمكروه، والسنة من البدعة، فلنقرأ الفقه النفسي والأخلاقي الذي يرتبط بهذه الأحكام ارتباطاً وثيقاً.

التصوف الحقيقي

والتصوف الحقيقي لا يعني فقط ممارسة الطقوس والانـزواء عن المجتمع والتردد إلى الزوايا، بل يعني إلى جانب هذه الأمور أن تهتم بقضايا المجتمع، ومقاومة الفساد والانحراف العقائدي، والأخلاقي، والمعيشي.

وهذا هو حقيقة التصوف عند أهل البيت عليهم السلام، بل إنهم مثلوا أرقى درجات التصوف الإسلامي، وهي التضحية في سبيل الله بالنفس،

والمال، فنقلوا التصوف من التصوف اللفظي إلى التصوف العملي، قال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[التوبة:١١١]، ويقول الرسول الأكرم ﷺ: ((لنومة في سبيل الله أفضل من عبادة ستين سنة في أهلك، تقوم ليلتك لا تفتر، وتصوم نهارك ولا تفطر))[١]، ولما لمح من بعض أصحابه جنوحاً إلى الإفراط أو التفريط ردهم بقوة إلى الوسط، وحذرهم من مغبة الغلو والتقصير، فقال محذراً ثلاثة من أصحابه عندما تقالُّوا عبادته، فعزم أحدهم على صوم الدهر فلا يفطر، والثاني على أن يقوم الليل فلا يرقد، والثالث على أن يعتزل النساء فلا يتزوج، فقال صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله: (أما إني أخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكن أصوم وأفطر، وأقوم

(١) رواه البخاري في كتاب الصوم.

وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب سنتي فليس مني [1].

فيا دعاة التصوف (الإفراط أو التفريط) افهموا ما كان عليه الرسول الأكرم ً وأهل بيته عليهم السلام، وسيروا بسيرتهم، واهتدوا بهديهم، واسلكوا نهجهم.

ومن العجيب الغريب أن يتهم بعض الأدعياء أهل البيت عليهم السلام بالتقصير في علم التصوف، كما اتهم بعض الأغبياء الرسول ً في قلة عبادته، وعندما تصل الاتهامات إلى نجوم الاهتداء وصفوة الأولياء، فإنها الطامة الكبرى، والدعوة إلى الشيطان واتباع سبيله، قال تعالى: {**وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**} [الأنعام:١٥٣].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصوم.

التصوف عند أهل البيت عليهم السلام

وقد مثل أهل البيت عليهم السلام التصوف الإسلامي الصحيح بكل أشكاله، فالإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين، والإمام علي بن الحسين سلام الله عليهم، لهم مواقف يومية تستدعي الوقوف والتأمل في هذا الجانب لا نستطيع في هذه العجالة ذكرها.

وأما الإمام زيد بن علي عليه السلام (ت١٢٢هـ) فإني سأشير إلى برنامجه في التصوف من خلال حديث ولده الإمام يحيى بن زيد عليه السلام حيث قال: (رحم الله أبي كان أحد المتعبدين، قائم ليله، صائم نهاره، كان يصلي في نهاره ما شاء الله، فإذا جن الليل عليه نام نومة خفيفة، ثم يقوم فيصلي في جوف الليل ما شاء الله، ثم يقوم قائماً على قدميه يدعو الله تبارك وتعالى، ويتضرع له، ويبكي بدموع جارية حتى يطلع الفجر، ثم يجلس للتعقيب

حتى يرتفع النهار، ثم يذهب لقضاء حوائجه، فإذا كان قريب الزوال أتى وجلس في مصلاه، واشتغل بالتسبيح والتحميد للرب المجيد، فإذا صار الزوال صلى الظهر وجلس، ثم يصلي العصر، ثم يشتغل بالتعقيب ساعة، ثم يسجد سجدة، فإذا غربت الشمس صلى المغرب والعشاء[1].

وبعد ذلك قدم نفسه رخيصة في سبيل الله، فسقط شهيداً، وفُصِل رأسُه عن جسده الشريف، وصُلِب ثم أُحْرِقَ، وذُرَّ في نهر الفرات.

مؤلفات أهل البيت عليهم السلام في علم التصوف

وأما مؤلفات أهل البيت عليهم السلام في هذا الفن فهي كثيرة منها:

---

(١) وسائل الشيعة: ١٢٢/٧.

كتاب (سياسة النفس)، وكتاب (المكنون) للإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام (ت:٢٤٦هـ) وكتاب (الهجرة والوصية) للإمام محمد بن القاسم عليه السلام (ت:٢٨٤هـ)، ولهما كتاب مشترك بعنوان (الوافد على العالم)، فالوافد هو الإمام محمد بن القاسم، والعالم هو الإمام القاسم بن إبراهيم عليهما السلام.

وكتاب (الخشية) للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام (ت:٢٩٨هـ) وله أيضاً مقالات في الجزء الثاني من الأحكام.

وكتاب (سياسة المريدين) للإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني (ت٤١١هـ) وكتاب (تصفية القلوب) للإمام يحيى بن حمزة عليه السلام (ت:٧٤٩هـ)، وكتاب (كنز الرشاد) للإمام عز الدين بن الحسن عليه السلام (ت:٩٠٠هـ)، وله أيضاً كتاب (نبذة في علم الطريقة)، وكتاب (الرسالة

القاصمة لظهور الصوفية الحلولية الآثمة) للإمام القاسم بن محمد عليه السلام (ت:١٠٢٩هـ) بيَّن فيه الصوفية المزعومة الحلولية، وكتاب (الاعتبار وسلوة العارفين) للإمام الموفق بالله الحسين بن إسماعيل الجرجاني عليه السلام (ت:٤٢٠هـ) وكتاب (صلة الإخوان) للإمام يحيى بن المهدي الزيدي عليه السلام (ت٧٩٣هـ) وغيرها، كما أن لهم ولغيرهم من الأئمة موضوعات في هذا الفن في ثنايا كثير من الكتب، وفي رسائل مفردة لا يسع المقام لسردها.

وقد ذكر السيد العلامة الولي علي بن محمد العجري رحمه الله تعالى (ت:١٤٠٧هـ) في كتابه (منهل السعادة في ماكان عليه بعض صفوة السادة من الذكر والورع والعبادة)[١] شذرات من منهج أئمتنا عليهم السلام في هذا الموضوع.

---

(١) طبع بتحقيقنا.

هذا الكتاب

وهذا الكتاب الذي بين يديك الكريمتين للإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى المرتضى عليه السلام (ت:٨٤٠هـ) جعله تكملة لكتابه الفقهي الموسوعي (البحر الزخّار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) وناقش بأسلوب وجيز أهم مواضيع أفعال القلوب المتعلقة بالفقه النفسي والأخلاقي، ونظراً لأهميته قام بشرحه السيد العلامة المجتهد محمد بن عز الدين المؤيدي، المعروف بالمفتي(ت:١٠٤٩هـ)، وكذلك القاضي العلامة المحقق أحمد بن يحيى حابس الصعدي (ت:١٠٦١هـ)، وكذلك السيد العلامة الحسن بن أحمد الجلال (ت:١٠٨٤هـ).

وكتاب تكملة الأحكام فريد في بابه، وفيما يلي ترجمة مختصرة لمؤلفه، سائلاً المولى عز وجل

الإعانة والتوفيق.

ترجمة المؤلف[1]

نسبه

هو الإمام الأعظم، المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى بن أحمد بن المرتضى بن المفضل بن المنصور بن المفضل بن عبدالله الحجاج بن علي بن يحيى بن الإمام القاسم بن الداعي يوسف بن الإمام المنصور بالله يحيى، بن الناصر للدين أحمد، بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، بن الإمام القاسم بن إبراهيم، بن إسماعيل، بن إبراهيم الشبه، بن الإمام الحسن

---

(١) كتب هذه الترجمة السيد العلامة علي بن عبدالكريم الفضيل في مقدمة البحر الزخار، فاختصرتها، وتصرفت في بعضها بما يتناسب مع حجم هذه الرسالة.

الرضا، بن الإمام الحسن السبط، بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام، **وأمه:** هي الشريفة الفاضلة حصينة بنت محمد بن علي، تلتقي مع الإمام في المنصور بن المفضل، وأخوها هو الإمام المهدي علي بن محمد بن منصور بن يحيى بن منصور بن مفضل، المتوفى سنة٧٧٤هـ.

مولده

مولده عليه السلام سنة ٧٤٦هـ بإلهان، آنس قضاء ذمار جنوب صنعاء اليمن، وقد ذكر الشوكاني أن مولده تقريباً في سنة٧٥٥هـ، وتبعه آخرون في هذا التحديد لمولده، ولكن الصحيح هو ما ذكرناه اعتماداً على ما صححه السيد المؤرخ الحسن بن عبدالرحمن بن أحمد شرف الدين في كتابه (المواهب السنية)، وهو أعرف من غيره

بتأريخ مولد جده الإمام المهدي عليه السلام.

وفي العام الخامس من عمره ماتت والدته، كما أن والده كان قد مات قبلها رحمهم الله، فاحتضنت اليتيم أخته الشريفة دهما بنت يحيى بن المرتضى، وهذه الشريفة هي المشهورة في التأريخ بعلمها وأدبها، ومن مؤلفاتها: (الأنوار) و (شرح منظومة الكافي في الفقه)، و(مختصر المنتهى في أصول الفقه) و (الجواهر في علم الكلام)، وكانت أخيراً تقوم بتدريس العلم في مدينة (ثلا) حتى توفاها الله سنة ٨٣٧هـ، رحمها الله تعالى.

عاش اليتيم في حضانة هذه الأخت الرحيمة التقية الواعية، وتحت إشراف أخيه الأكبر العلامة الهادي يحيى بن المرتضى، ورقابة خاله الإمام المهدي لدين الله علي بن محمد بن علي بن المنصور بن يحيى بن المنصور بن المفضل بن عبدالله رحمهم الله،

وفي ظل هذه الأسرة الزكية الواعية المستنيرة ترعرع ونمى وتربى على حب المعارف والمكارم، وخلال التقوى والمروءة والطهر والعفاف، وتنشّأ في ربوعها على حب الفتوة وأبطالها، والعصامية وأعلامها، والإنسانية وهداتها.

هكذا نبت ونمى في بيت يشع بالنور، ويتألق بالحكمة، وتتجسد التقوى والورع في كل ساكنيه شيوخاً وشباباً، ذكوراً وإناثاً، وفي مجتمع فياض بالعلم والأدب والنبل والورع والصلاح.

حياته العلمية

من الراجح أن الإمام المهدي عليه السلام تلقى دروسه الأولية في الخط والحساب، وما شاء الله من القرآن والتوحيد على أخيه الهادي، وعلى يد أخته الشريفة دهما كقاعدة أهل البيت عليهم السلام في

عصورهم الأولى في تعليم أولادهم الأوليات من العلم، وتلقينهم قبل ذلك كلمات التوحيد اقتداء بالرسول ﷺ، حيث كان إذا أفصح الغلام من بني عبدالمطلب علمه أن يقول: (الحمدلله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدّره تقديرا)[1] ثم يدفعونهم بعد ذلك إلى من يرتضونه ديناً وخلقاً وعلماً لتعليم أولادهم حتى بلوغ الذروات في العلم والأدب.

ونحن نلاحظ من سيرة الإمام المهدي أنه بدأ في تلقي العلوم الإسلامية بداية تستدعي الإنتباه؛ إذ كانت علىخلاف الشائع والمعروف بين أقرانه وأمثاله ؛ إذ كان الشائع بينهم والمعروف لديهم أن يبتدئ الطالب في تعلم العلوم بدارسة الفقه، والأصول، وقواعد اللغة العربية جامعين بين هذه الفنون الثلاثة من البداية حتى يبلغ الطالب الدرجة

---

(١) حكاه في نيل الأوطار الشوكاني (١٦/١، مطبعة الحلبي).

اللائقة به لدراسة التفسير والحديث وغير ذلك؛ حتى يأتي على معظم العلوم الإسلامية.

ولكن الإمام المهدي لم يبدأ هكذا، بل تخصص من البداية في دراسة علوم اللغة العربية لمدة سبع سنوات، أصبح بعدها المرجع الأول والأخير في علوم اللغة العربية، وهذه البداية كما دلت على مدى تفوقه، تدل على ذكاء وطموح عقلي عظيمين، وتدل في الوقت نفسه على نفس عازفة عن الدنيا ووسائل العيش الرخيص فيها، كما تدل على أنه قد أراد لنفسه أن يعيش في القمة ليتمكن بجدارة رائعة وخبرة فائقة من هداية الضالين وإرشاد الحائرين، وهكذا كان بعد أن استقصى كل العلوم الإسلامية الموجودة في عصره وبلغ الذورة فيها.

ولا شك أن إتقانه لعلوم اللغة العربية قد ساعده كثيراً على فهم ما سواها، وهذا إلى جانب ما وهبه

الله من الفهم والذوق والإدارك وعمق التفكير، مع عقل راجح وصدر رحب، وقدرة على البيان، والإقناع عند مقارعة الأقران، مع لسان غير سباب ولا مجادل، وفؤاد أبيّ لا ينصاع للباطل، وعقل متنور جمّاع للمسائل، نقّاد لصحيحها من سقيمها، حلاّل للمشاكل، لا يعجزه عويصها، ولا ترهبه قعقعتها، وعلى الجملة فهو كما وصفه الإمام محمد بن إبراهيم الوزير بقوله:

أوتيت من بين الأئمة آية تبقى مع الأقران
لم يؤتها بعد النبي خليفة والأعصار
بهرت فلم يسطع عدوك كلا ولا حبر من الأحبار
ردها بتهاونٍ فيها ولا إنكار
شهدت بأنك بعد جدك أحمد مهدينا المشهور بالآثار

إلى آخرها.

أساتذته

أما أساتذته فمنهم أخوه العلامة الهادي بن يحيى بن المرتضى أخذ عليه في علم العربية وأصول الدين وأصول الفقه.

والقاضي محمد بن يحيى المذحجي سمع عليه الخلاصة وحفظ الغياصة، وشرح الأصول الخمسة للسيد مانكديم، وتذكرة ابن متَّويه في علم المنطق.

والقاضي علي بن عبدالله بن أبي الخير قرأ عليه المحيط والمعتمد لأبي الحسن البصري، ومنتهى السؤل وتذكرة ابن متَّويه.

والفقيه علي بن صالح سمع عليه السيرة النبوية، ونظام الغريب، ومقامات الحريري.

والمقري المعروف بابن النساخ قرأ عليه الكشاف.

كما قرأ المسانيد والأمهات في علوم الحديث، واستجاز نفيس الدين العلوي فأجازه، وقرأ على ابن خاله الإمام الناصر صلاح الدين بن محمد بن علي، وأجازه، واستمر عند هؤلاء وغيرهم من مشاهير ذلك العصر حتى بلغ الذروة في كل العلوم ومجتهدها المطلق بلا خلاف، وكان المقبلي يعتبره في مجتهدي الأئمة، ونعته المنصفون بالإمام الأعظم.

دعوته

بعد وفاة الإمام الناصر صلاح الدين محمد بن الإمام المهدي علي بن محمد سنة٧٩٣هـ، اجتمع العلماء كعادتهم في مثل هذه المواقف للتشاور فيمن يصلح لهذا المنصب العظيم، وأجمع المتشاورون على اختيار صاحب الترجمة، وبعد أخذ ورد معه،

وافقهم على ذلك، ثم بويع له بالإمامة الشرعية في المسجد كما هو شأن الخلفاء الراشدين، وكان أول من بايعه هم العلماء، حتى لقد قال بعضهم: إنه لا يفرق بين هذه البيعة وبيعة الإمام زيد بن علي عليه السلام، وتوالت بعد هذه البيعة بيعة العلماء ومشائخ القبائل من معظم أنحاء اليمن، وكان ابن الإمام الناصر واسمه علي بن صلاح الدين قد رشح نفسه للإمامة، ولما علم وزراء الدولة بمبايعة العلماء للإمام المهدي سارعوا لمبايعة علي بن صلاح، ولقّبوه بالمنصور، وهكذا سلك أرباب المصالح كأمثالهم في كل زمان ومكان مسلكاً مخالفاً للمسلك الزيدي الصحيح في اختيار الإمام ومبايعته، وبالطبع تجمع وتكتل معهم أمثالهم في أنحاء اليمن، وبدأت المعركة، وكان النصر حليف الوزراء بعد أن غُدر بالإمام المهدي ومن بمعيته من العلماء في مدينة (معبر) ثم سيق إلى سجن (صنعاء) مع أربعة

ممن بقي على قيد الحياة من كبار العلماء، وهم القاضي سليمان بن إبراهيم النحوي، والقاضي أحمد بن موسى العباسي، والقاضي إبراهيم بن الفضلي، والسيد علي بن الهادي بن المهدي.

الإمام في السجن

دخل الإمام المهدي السجن في عام٧٩٤هـ، وعمره إذ ذاك ثلاثون عاماً على الصحيح، دخلة الشباب ونور العلم، ويقين المؤمنين، لذلك فلم يمكث فيه إلا قليلاً حتى تحول السجن إلى روضة من رياض العلم، وأصبحت زنـزاناته غرفاً وفصولاً يتدارس فيها الحكمة، ويتلى فيها بخشوع الصابرين كتاب الله، وصَلُح كل أهل السجن، وتتلمذوا على يده، وتعلموا منه الكثير من مسائل الدين.

في هذا السجن ألّف الإمام (متن الأزهار، وشرحه بالغيث المدرار) وقد أودعه زهور المذهب

الهدوي الزيدي في الفروع، وقصد تقريب ذلك للمقلدين، وليس من البعيد أن يكون من أهم الحوافز له على تأليفه هو إفادة المسجونين وأمثالهم بثمار المسائل التي لم يصل إليها العلماء إلا بعد جهد الطلب ومشقة البحث.

والكتاب لشموله وتحقيقه وبلاغة أسلوبه وحسن تبويبه؛ يُعد من آيات الإمام التي اختصه الله بها ومنحه إياها لنفع المؤمنين، وانتشال الجاهلين من ظلم الحيرة إلى نور المعرفة والهدى، ولقد نقم العلماء على المنصور لحبس الإمام المهدي عليه السلام ونصحه الكثير بوجوب تخلية سبيله، وممن كتب له في ذلك السيد العلامة الهادي بن إبراهيم الوزير رحمه الله، واستعطفه بقصيدة رائعة منها:

فقلت له فداك أبي وأمي تلطف بالقرابة والرحامة
فإن السيد المهدي منكم بمنزلة تحق له الفخامة
ألم يك جدك المهدي خالاً له وكفى بذلك من رحامة
نصيحة وامق خدنٍ شفيق محبٍ ليس يحتاج القسامة

فإني والحديث لنو شجون وليس يليق في الدين الحشامة
أخاف إذا استمر القيد فيه تجيء مقيداً يوم القيامة
ولا تسمع إلى من قال فيه بترك القيد واطرح الملامة

وقد كان من أثر هذه القصيدة أن فك المنصور القيود التي كانت على الإمام المهدي، وبعد سبع سنين كاملة وأحد عشر يوماً خرج الإمام المهدي من السجن فراراً، ومعه حراس السجن المنصوري، واتجه نحو مدينة (ثلا) حيث التقى فيها بالعالم العظيم الفقيه (يوسف بن أحمد بن عثمان)، وكان يسكن هجرة العين القريبة من مدينة (ثلا) مدرساً وناشراً العلم فيه، ثم كاتبه الإمام الهادي لدين الله علي بن المؤيد، وطالبه بالوصول لفتح مدينة صعدة، فدخلها والإمام الهادي سنة (٨٠١هـ) وفي الاتفاق الأول بينهما في هجرة (فلله) حيّاه الإمام الهادي بقصيدة رائعة منها:

تَبَلّج حبس بعد أن كان موصدا
به قمر تزهو به الشمس والقمر
وما انفك عنه الحبس حتى تصدعت
لهيبته أركانه الترب والحجر
وما جئت حتى أيس الناس أن تجي
وسميت منظوراً وجئت على قدر
فلله من آت به الأرض أشرقت
ولله من آت سقينا به المطر
فأهلاً وسهلاً ثم أهلاً ومرحباً
عديد الحصى والقطر والنمل والشجر

وقد أودع الإمام الهادي قوله:

وما جئت حتى أيس الناس أن
تجي

المبرر لقيامه بأعباء الإمامة في بلاد صعدة، وهو اليأس من خروجه من السجن، هذا وقد عاد الإمام المهدي عليه السلام إلى مدينة (ثلا) للقيام بأعباء الرسالة الإنسانية الخالدة، رسالة العلم

والهدى، قد قام بها أحسن قيام يشهد له بذلك ما خلّفه من تراث فكري عظيم صار وما يزال نبعاً عذباً فياضاً لكل وارد، وسراجاً وهاجاً لهداية الضالين وإرشاد الحائرين.

الإمام والجهاد

نلاحظ من سيرة الإمام المهدي عليه السلام أنه بعد أن خرج من سجن صنعاء جنّد نفسه للجهاد والجلاد، ولكن جهاده وجلاده في هذه الفترة لم يكن مع المنصور علي بن صلاح ولا مع غيره، وإنما كان مع الجهل والبدع والضلالات، جاهد هذا الثالوث الرهيب بلسانه وبيانه وسلوكه، وخرج بنفسه من أجل ذلك إلى القرية، وتجول في السهول حيثما تسكن القبائل وتأوي إليها النسور القشاعم من أحفاد الأنصار وأشبال أحفاد الأنصار، وفيها حمل

راية الجهاد، ونادى بوجوب الاجتهاد، وبحرية وقدسية الفكر والرأي للانتقاد الحر، والإستنباط الحر من مصادر الإسلام الأولى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والاستفادة من الثروات الفكرية التي خلفها الأئمة الهادون والعلماء المجتهدون في كل أصقاع الأرض، ومن أجل ذلك ألف المؤلفات الشاملة، وحرر الرسالات الصادعة، وبدد الشبهات بالحجج النيرات، ولذا ظهرت بعض مؤلفاته في هذه الفترة على النحو التالي:

في (ثلا) وبعد خروجه من السجن أَلَّف كتاب (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) وفيه تظهر آرائه وأنظاره الخاصة في كل المسائل التي اشتمل عليها الكتاب.

وفي سنة ٨١٦هـ سافر من (ثلا) إلى بلاد مسور، وفيه مكث ما شاء الله، وبدأ في كتابه (غايات

الأفكار) وهو شرح لما تضمنه كتاب (البحر الزخار) من العلوم.

ثم رجع إلى مسور لزيارة أولاده، وفي هذه الفترة ألَّف (القمر النوار)، ثم نـزل (الدقائق) من بلاد لاعة وفيها ألَّف (حياة القلوب).

وفي سنة ٨٣٦هـ توفي الإمام الهادي علي بن المؤيد، وأوصى بتسليم ما كان بيده من الحصون إلى الإمام المهدي صاحب الترجمة، فأمر ابنه الحسن بن المؤيد بتعهدها وافتقادها، أما الإمام نفسه فقد رحل إلى ظفير حجة، حيث اتخذه وطناً له، وذلك في سنة ٨٣٨هـ، وفي سنة ٨٤٠هـ توفاه الله شهيداً بالطاعون، وقبره بالظفير مشهور رحمه الله، وجزاه خيراً، وألحقنا به صالحين.

مؤلفاته

أولاً: أصول الدين

١- نكت الفرائد في معرفة الملك الواحد.

٢- غرر القلائد في شرح نكت الفرائد.

٣- القلائد في تصحيح العقائد.

٤- الفرائد شرح القلائد.

٥- الملل والنحل.

٦- المنية والأمل في شرح الملل والنحل.

٧- رياضة الأفهام في لطيف الكلام.

٨- دامغ الأوهام شرح رياضة الأفهام.

ثانياً : أصول الفقه:

٩- فائقة الأصول في معاني جوهرة الأصول.

١٠- معيار العقول في علم الأصول.

١١- منهاج الوصول إلى شرح معيار العقول.

ثالثاً: الفقه:

١٢- كتاب الأحكام من البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار في سائر علوم الإجتهاد.

١٣- متن الأزهار في فقه الأئمة الأطهار.

١٤- الغيث المدرار المفتح لكمائم الأزهار.

١٥- الإنتقاد للآيات المعتبرة للإجتهاد.

١٦- المستجاد شرح الانتقاد.

رابعاً: الحديث

١٧- الأنوار في الآثار الناصة على مسائل الأزهار.

خامساً: الزهد

١٨- القمر النوار في الرد على المرخصين في

الملاهي والمزمار.

١٩- تكملة الأحكام والتصفية من بواطن الآثام، وهو الذي بين يديك الكريمتين.

٢٠- حياة القلوب في إحياء عبادة علاّم الغيوب.

٢١- شرح تكملة الأحكام، وهو الذي بين يديك.

سادساً: الفرائض

٢٢- الفائض في علم الفرائض.

٢٣- القاموس في الفرائض.

سابعاً: المنطق

٢٤-القسطاس المستقيم في الجدل والبرهان القويم.

ثامناً: التاريخ

٢٥- الجواهر والدرر في سيرة سيد البشر

وأصحابه الغرر والعترة المنتجبين الزهر.

٢٦- يواقيت السير شرح كتاب الجواهر والدرر.

٢٧- تحفة الأكياس في سيرة آل أمية والعباس.

٢٨- تزيين المجالس بذكر التحف النفائس.

٢٩- الدرر المنيرة في فقه السيرة.

تاسعاً: اللغة

٣٠- الكوكب الزاهر شرح مقدمة طاهر.

٣١- الشافية في كشف معاني الكافية.

٣٢- المكلّل بفرائد معاني المفصّل.

٣٣- تاج علوم الأدب وقانون كلام العرب.

٣٤- إكليل التاج وجوهره الوهاج.

الإمام والأدب

لم يقتصر الإمام المهدي عليه السلام على الرسائل والمواعظ والمؤلفات في نشر علومه وأفكاره ونظرياته طوال حربه الضروس مع الثالوث الرهيب: الجهل، والبدع، والضلالات، بل قرّض الشعر وحبر القصائد، لذلك الهدف الرفيع، فمن ذلك قصيدته التي سماها: (ظاهرة المواعظ وزينة الواعظ) ومطلعها:

أصحيفة سوداء وشيب ومنية أزفت وقلب أبيض معرض؟

وهي تزيد على سبعين بيتاً.

وقصيدته الموسومة (الدرة المضيَّة في ذكر أئمة العترة الرضية) ومطلعها:

لوميض برق لاح أرسلت ودق سحائب للمشتاق الأحداق

وقصيدة منها:

خاضوا المنية في مرضاة خالقهم وحكموا السيف في هام وأعناق

فكم أطارت سيوف الآل من قلل وكم دم في سبيل الله مهراق

وهي نحو ستين بيتاً.

وقصيدته الموسومة (الزهرة الندية في صفة الدنيا الدنية).

وقصيدته الموسومة (سمط اللآل في الرد على أهل الضلال) ومطلعها:

الحمدلله على كل حال ما هاج بلبال وما قر بال

وقصيدته الموسومة (الزهرة الزاهرة بتحقير الدنيا وتفخيم الآخرة) ومطلعها:

أمن نكبات الدهر قلبك ومن روعات فيه روعك آمن ساكن

ومن غرر قصائده قصيدة له عليه السلام في

تذكير أبناء فاطمة الزهراء عليها السلام قوله:

إذا ما رأيت الفاطمي تمردا ... أقام على كسب المعاصي وأخلدا
فذاك الذي اكتسى ثوب عزّةٍ ... تبدل أثواب الدنائة وارتدى
فيا سوءتا للفاطمي إذاأتى ... أسير المعاصي يوم يلقى محمدا
فلو لم يكن إلا الحياء عقوبةً ... ولم يخش أن يصلى الجحيم مخلدا
لكان له والله أعظم وازع ... من النكر والفحشاء كهلاً وأمردا
فقل لبني الزهراء إن محمدا ... بنى لكموا بيت التقاء وشيدا
وإن أباكم حيدرا بعده الذي ... حماه وقد قامت إلى هدمه العدى
فلا تهدموا بنيان والدكم وقد ... تحسى أبوكم دونه جرع الردى
فشر فتى في العالمين فتى أتى ... وقد أصلحت كفا أبيه فأفسدا

فهذه لمحة عن حياة الإمام الأعظم إمام العلم

والأدب والتضحية، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

مصادر الترجمة

التحف شرح الزلف١٩٣، مطمح الآمال -خ-، الجواهر المضيئة (خ) الإمام المهدي أحمد بن يحيى وأثره في الفكر الإسلامي تأليف محمد الكمالي طبع سنة١٩٩١م، لوامع الأنوار:١٦٤،٢-١٧٤، الموسوعة اليمنية:١،٥٥، مقدمة البحر الزخار:١٣-٢٦، أعلام المؤلفين الزيدية:٢٠٦-٢١٣، مصادر الحبشي:٥٨٣، ابن المرتضى من المهد إلى اللحد د. المأخذي ١٩،٤٤، مقدمة كتاب المنية والأمل، تحقيق د.جواد مشكور٥-١٠، البدر الطالع:١،١٢٢، بلوغ المرام:١٢٦، تاريخ الواسعي:٤٠، تتمة الإفادة(خ)، كنز الحكماء وروضة العلماء ترجمة للإمام المهدي بقلم ابنه الحسن، الأعلام:١،٢٩٩،

أئمة اليمن:٣١٢.

طريقة التحقيق

ضمن إهتمامات أخي العلامة الجليل السيد عبدالله بن محمد بن إسماعيل حفظه الله بتراث وآثار أهل البيت عليهم السلام سلمني دسكاً مصفوفاً عليه هذه التكملة، وألزمني بتحقيقها فقمت بالآتي:

١- استخرجت نسخة من الكمبيوتر للمقابلة.

٢- قابلتها على ثلاث نسخ، الأولى مخطوطة ضمن مجموع بمكتبة شيخنا السيد العلامة يحيى بن عبدالله رواية رحمه الله تعالى، ورمزت لها بالرمز(ب)، والثانية مطبوعة ضمن (البحر الزخار)، وتقع في الجزء الخامس منه، وهي أصل النقل، والثالثة ضمن (تلقيح الأفهام بصحيح الكلام) للعلامة الحسن بن أحمد الجلال رحمه الله تعالى، وهي عبارة عن شرح للتكملة.

٣- فصلت النص إلى فقرات، والفقرات إلى جمل، واستخدمت في ذلك العلامات المتعارف عليها كالنقطة والفاصلة والقوس.

٤- أثبت الحواشي والتعاليق التي قام بها العلامة المحقق محمد بن يحيى بهران الصعدي المتوفى سنة٩٥٧هـ، اتماماً للفائدة، وقد تصرفت في بعضها.

٥- جعلت لكل بحث عنواناً من عندي لتسهيل الرجوع إليه، وجعلته بين معكوفين هكذا [ ].

٦- أضفت بعض الكلمات في الأصل، لاستقامة المعنى، وجعلتها أيضاً بين معكوفين، وهي قليلة.

٧- وضعت هذه المقدمة عن الكتاب ومؤلفه، وقد استعنت في الترجمة بما كتبه السيد العلامة علي عبدالكريم الفضيل في مقدمة البحر الزخار، وتصرفت فيها بما يقتضيه المقام، وأثبت مصادر الترجمة في آخرها.

وأخيراً : أسأل الله العظيم أن يقبل جميع الأعمال، ويوفقنا إلى مافيه الخير والسداد، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

عبدالله بن حمود بن درهم

العزي

١٤٢٢/٢/٢هـ.

٢٠٠١/٤/٢٥م.

الفقه الاصطلاحي

اعلم أن الفقه الاصطلاحي: هو العلم بالأحكام الشرعية، وإنما تكلم المصنفون في الفروع منه على أحكام أفعال الجوارح دون أفعال القلوب، وقد جعل الله تعالى محرَّماتها [1] شطراً، حيث قال تعالى: {وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ}[الأنعام:١٢٠]و**الباطنة**: هي مآثم القلوب في أصح التفسيرات[2]، فوجب أن نجعل لها في أبواب علم الحلال والحرام باباً يتضمن تفصيلها بحقائقها وتفريعاتها، وتمييز حلالها من حرامها؛

(١) أي محرمّات أفعال القلوب.

(٢) لأن ظاهر الإثم، قد فسر بتفسيرات عديدة منها: أن المراد بظاهره الزنا داخل الحوانيت، وباطنه في غيرها، ومنها: أن المراد بظاهره ما ظهر من المعاصي وباطنه ما استتر.

ليمكن التحرز من الإثم الباطن كالظاهر، وهذا الباب أهم من غيره، إذ لا يَعْرى مكلف بالشرعيات عن التكليف به.

فصل: [جملة ما ورد الشرع بتحريمه من أفعال القلوب]

وجملة ما ورد الشرع بتحريمه منها سبعة عشر نوعاً وهي: الكبر وما يتفرع منه، والعُجب كذلك، والرياء كذلك، والمباهاة كذلك، والمكاثرة كذلك، والحسد كذلك، والغل كذلك، وظن السوء كذلك، والمعاداة كذلك، والموالاة كذلك والحمية كذلك، والمداهنة كذلك، وحب الدنيا كذلك، والجبن والبخل كذلك، وما يتصل بهما من السرف والتقتير، والزهو والفرح كذلك، ويلحق بذلك بيان الخطر المخوف بعد حصول العلم والعمل والاخلاص، فلنفرد لكل من ذلك فصلاً.

فصل: [الكبر]

الكبر: هو اعتقاد مطلق غير علم أن النفس تستحق من التعظيم فوق ما يستحقه غيرها ممن لا يعلم استحقاقه الإهانة، ودليل كونه من أفعال القلوب، قوله تعالى: {إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيه}[غافر:٥٦].

والتكبر: هو أن ينضم إلى هذا الاعتقاد قولاً أو فعلاً أو تركاً، تنبئ على حصوله كقول إبليس لعنه الله: {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ}[الأعراف:١٢]، فأنبأ عن اعتقاده أنه يستحق من التعظيم فوق ما يستحقه آدم عليه السلام، ومن ثم قال تعالى: {فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا}[الأعراف:١٣]، ومن ثم فسرنا التكبر بذلك(١).

---

(١) قال رسول الله ﷺ: (الكبر بطر الحق وغمص الناس)، والغمص، والغمط، والبطر، بمعنى الاحتقار للحق وللناس.

لأن التكبر في اللغة: دعوى الأكبرية في القَدْرِ، لا الجسم اتفاقاً ولا معنى للأكبرية في القدر إلا ما ذكرناه قطعاً، إذ لا يحتمل غيره عند السبر.

وأما الكبرياء: فهو استحقاق أعلى مراتب التعظيم فلا يوصف به إلا الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى: (وله الكبرياء في السموات والارض) وقوله تعالى: (والكبرياء ردائي)[1].

فرع: والتكبر قبيح عقلا لصدوره اعتقاد أمر جهل [2]وشرعا للاجماع، والوعيد عليه كقوله تعالى: {فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ}[غافر:٧٦]، ونحوها، ومنه: الاستخفاف بمن لا يعلم فسقه، والترفع عن بعض ما

---

(١) وتمام الحديث: (العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما عذّبته بناري)، رواه أبو داود: ٤٠٩، عن أبي هريرة، مرفوعاً، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، كتاب الإيمان: ١٩٤،وأبي سعيد نحوه.

(٢) في تلقيح الأفهام: (لصدوره عن إعتقاد جهل): ٢٣.

يستحقه الوالد والامام والعالم من التعظيم كما كان ترفع إبليس عن بعض ما يستحقه آدم تكبرا، وما من مرتبة في التعظيم الا ويستحقها هؤلاء، مع صلاحهم الا ما انفرد الله به سبحانه باستحقاقه كالسجود، لقوله ﷺ: ((لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد))[1] فنبه على أن ما دون السجود من التعظيمات مستحق للزوج على الزوجة، والعالم على المتعلم، وقوله ﷺ حاكياً عن الله تعالى: ((من أراد أن يكرمني فليكرم أحبائي))[2] أراد العلماء، كما صرح به في آخر الخبر والإمام أعظم حقاً لأنه أمر بطاعته كما أمر بطاعة الرسول حيث قال تعالى:{وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ}[النساء:٥٩]، ولم يكن مثل ذلك في حق الوالد

---

(١) تمام الحديث: (لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)، أخرجه الإمام المنصور عبد الله بن حمزة في كتابه رسالة الثبات، والترمذي:١١٩٦.

(٢) ((قيل: ومن أحباؤك؟ قال: العلماء)) هكذا قيل والله أعلم، رواه الخطيب في التاريخ، والمشهور حديث: ((من عادى لي ولياً، فقد آذنته بالحرب))، رواه البخاري:٦٥٠١.

والعالم، وقال الله تعالى:{تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً} [النور:٦٣]، والإمام قائم مقامه، نعم فالترفُّع عن بعض ما يستحقه هؤلاء من التعظيم تكبّرٌ كتكبر إبليس عما أمر به، فأما لو تركه تسامحاً لا ترفعاً، مع عزمه على فعله لو اتهم بالأنفة عنه فليس تكبراً، اذ لا يتضيق عليه إلا عند التهمة، ومنه الترفع عن طلب العلم ممن هو أصغر منه سناً أو أقل جاهاً، والأنفة عن الجواب بلا أدري، حيث لا يعلم الجواب الموافق للحق، وعليه قوله ً: ((من ترك العلم))[1] الخبر ونحوه، ولتضمنه الأنفة عن تعظيم المعلم حينئذ، فكان تكبراً كتكبر إبليس، ومنه الزهو، وهو التبختر في المشي إذ لا يفعله عادة إلا المتكبرون، ومن تشبَّه بقوم فهو منهم، وجرَّ الذيل

---

(١) روي عن النبي ً أنه قال: ((اكتبوا هذا العلم من كل كبير وصغير، وغني وفقير، ومن ترك العلم من أجل أن صاحب العلم فقير أو أصغر منه سناً، فليتبوأ مقعده من النار))، أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي.

بطراً، لقوله ً: ((من جر إزاره بطراً)) [1] الخبر، ويجوز الزهو للمرأة، إذ تحسن به عين بعلها[2]، ومن ثم قال علي عليه السلام: ((خير خصال النساء شر خصال الرجال الزهو والجبن والبخل)) [3] وقد يحسن الزهو من الرجل، وذلك عند لقاء العدو، لقوله ً حين تبتختر أبو دجانة عند بروزه للقتال: ((إن هذه لمشية يبغضها الله تعالى إلا في مثل هذا الموطن)) ومنه تكلف التصدر في المجالس

---

(١) لفظه عن أبي هريرة أن رسول الله ً قال: (لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً)، أخرجه البخاري ومسلم ومالك في الموطأ، وله شواهد.

(٢) في (ب): زوجها.

(٣) هكذا يحكى عن علي عليه السلام، ويحمل كلامه عليه السلام على أن المراد بالزهو: التزين المرخص فيه، والجبن: محمول على ترك الجرأة على لقاء الرجال الأجانب، والبخل: محمول على حفظ مال الزوج، أما مال المرأة الخاص بها، فلها الإنفاق منه، ولقد كان النبي ً يفضل زينب أم المساكين على سائر زوجاته، حتى قال: ((أسرعكن لحوقاً بي، أطولكن يداً)).

واختيارها ترفعاً وطلب مرتبة في التعظيم لا يستحقها.

وقد قال علي عليه السلام (ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه)[1] ونهى رسول الله ً عن تخطي الرقاب إلى أعلى المجالس[2]، وكذلك طلب القرب الى مجلس السلطان ليشرف [3] به.

فرع: وليس منه الترفع عن مجالسة الأرذال والسّقط المتلبسين بالقبائح، لجواز الاستخفاف بهم، لا عن مجالسة المساكين الأتقياء فتكبر [1] فقوله تعالى: {**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ**}[الكهف:٢٨] إلى قوله تعالى: {**وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا**} [الكهف:٢٨]، نزلت فيمن ترفع عن مجالستهم.

---

(١) نهج البلاغة.
(٢) عن جابر بن سمرة قال: (كنا إذا أتينا النبي ً جلس أحدنا حيث ينتهي) أخرجه أبو داود والترمذي.
(٣) في (ب) : للشرف به.

فرع: وليس منه الأنفة عن الدخول في مهنة يسترذل صاحبها في جهتها كالحياكة، ونحوها في بعض النواحي لقوله ً: ((لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه))[٢] ((إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها))[٣] ولا التحشم عن دخول الأسواق،

---

(١) في (ب) : فكبر.

(٢) تمامه: (قالوا: وكيف يذل نفسه يا رسول الله؟ قال: يتعرض من البلاء لما لا يطيق) أخرجه الترمذي من رواية حذيفة، لكن في الاستدلال به هنا خفاء.

(٣) قال في هامش الأصل:صححه الحاكم من طريقين في كتاب الإيمان، لفظ الأولى عن سهل بن سعد الساعدي مرفوعاً (إن الله كريم يحب الكرم، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها)، ولفظ الثانية عنه مثله بسواء، إلا أنه أبدل (يكره) بلفظ (يبغض) وسكت عنه الذهبي في تلخيص المستدرك، وسكوته تقرير لما عرف من انتقاده في كل ما فيه انتقاد، وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث جابر يرفعه: ((إن الله جميل يحب الجمال، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها))، وفي رواية: ((إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفسافها)) وعند الطبراني أيضاً من حديث الحسين بن علي عن النبي ً، والله أعلم، وفي هاتين الطريقين مقال، وقال العراقي: رواه البيهقي معضلاً =

وخدمة نفسه وأهل بيته [إن لم] يجد من يخدمه ويخشى من فعلها استخفاف الجهال به سيما حيث في حط مرتبته مفسدة في أمره بالمعروف، أو نهيه عن المنكر فان وجد من نفسه ترك ذلك تكبراً، لا لهذه المصلحة، بل استعظاماً لزمه، كبيع النفس وإهانتها بفعلها، وكذلك ما لو خشي أن يقتدي به جاهل في الترفع عن ذلك لا لمصلحة بل استعظاماً، لم يحسن تركها.

فرع: ولا يقبح التكبر على ذوي التكبر والتجبر لقوله تعالى: {وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً}[التوبة:١٢٣]، وقول علي عليه السلام ما معناه: (إن التكبر على ذوي التكبر تواضع عند الله) أو كما قال، وقد نبه ً على ذلك حيث قال: ((من تضعضع لغني لأجل غناه))[١]

وموصولاً، ورجالهما ثقات.

(١) تمامه: ((لينال مما في يده أحبط الله عمله))، وفي رواية: ((ذهب ثلثا دينه)) حكاه الغزالي في الإحياء، ولفظه في =

الخبر.

[جواز مدح النفس لإظهار نعمة الله تعالى]

فرع: وليس من التكبر مدح النفس بما هو فيها لا على جهة الإفتخار، بل لإظهار نعمة الله تعالى عليها أو ليهتدى بهديها، أو لئلا يستخف بها ما لم يصدر عن الاعتقاد المذكور في حقيقة الكبر. وقد وقع ذلك عن الرسول ﷺ، حيث قال: «أنا سيد ولد آدم» [1] ونحوه، ومن علي عليه السلام حيث قال:

موضوعات ابن الجوزي: ((لعن الله فقيراً تواضع لغني من أجل ماله، من فعل ذلك من الفقراء ذهب ثلثا دينه)).

(١) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر))، أخرجه الترمذي، وفيه قصة، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفع)) أخرجه مسلم، وكذا أبو داود، لكن لم يذكر يوم القيامة، وعن أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: ((إذا كان =

(والله[1] لو ثنيت لي الوسادة)[2] الخبر ونحوه، ومن كثير من الأئمة وعلماء الأمة ومن قول الشافعي:

ولستُ بإمّعةٍ في الرجال أسائل هذا وذا ما الخبر؟[3]

فأما قوله تعالى: {فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ}[النجم:٣٢]، فالمعنى: [4]لا تحكموا لها بالطهارة من كل ذنب، فذلك لا يمكن أن يخبر به عن علم سيما غير المعصوم، وقد مر في ديباجة الكتاب، وقد يحسن

يوم القيامة، كنت إمام النبيين، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم من غير فخر)) أخرجه الترمذي، وفي ذلك أحاديث آخر.

(١) في (ب): بدون والله.

(٢) روي عن علي عليه السلام أنه قال: (لو ثنيت لي الوسادة ثم جلست عليها: لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، والله ما من آية نزلت في بر ولا بحر، ولا سهل ولا جبل، ولا ليل ولا نهار، إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وفي أي شيء نزلت).

(٣) ديوان الإمام الشافعي:٤٩.

(٤) في (ب) : فالمراد.

ذلك أيضاً إرهاباً على أعداء الله وإيغاراً لصدورهم كما كان منه ً يوم حنين حيث قال : ((أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب)) [1] ومنه ما كان من الإمام المنصور بالله [2] في كثير من أشعاره كقوله

---

(١) ذكر في حديث غزوة حنين في بعض رواياته ما لفظه: (فأقبل القوم إلى رسول الله ً، وأبو سفيان بن الحارث يقود بغلته، فنـزل ودعا واستنصر وهو يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب، اللهم نصرك)، رواه مسلم:١٧٧٦، كتاب الجهاد والسير، والبخاري في كتاب الجهاد: ٢٨٦٤.

(٢) الإمام المنصور بالله ، عبدالله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن الحسين. أحد أئمة الزيدية وعظمائها، غزير العلم والمعرفة، واسع الإطلاع، نادرة عصره في الحفظ والذكاء والشجاعة، وغيرها من الصفات النبيلة. ولد سنـة (٥٦١)هـ . ودعا إلى الله سنـة (٥٨٣) هـ أولاً، ثم جدد دعوته وعممها سنـة (٦٩٤)هـ وأجابه كثير من فضلاء اليمن وقبائلها، له العديد من المؤلفات النافعة في كثير من الفنون منها : (كتاب الشافي)، (المهذب)، (وحديقة الحكمة)، (صفوة الإختيار)، في أصول الفقه، (والعقدالثمين في تبيين أحكام الأئمة الهادين)، وغيرها وتوفي عليه السلام سنـة (٦١٤) هـ بكوكبان، ودفن بها، ثم نقل إلى بكر ثم إلى ظفار ومشهده =

عليه السلام:

أيُنكر حقي برجمِ الُّظنون وهَل يُنكر الخلق ضَوء
أَلستُ الذي شَقَّ برد القَمَر
الضّلال بفكر[1] يشقّ الحصى
والشعر

وغيرذلك منه، ومن الأئمة عليهم السلام كثير، والأعمال بالنيات[2].

[أمور ليست من الكبر]

فرع: وليس من الكبر قعود الإمام، أو أميره وبعض أعوانه قائم على رأسه تهيباً، لفعله ً يوم صلح الحديبية، والخبر الوارد في ذم ذلك منصرف الى من يفعله تكبراً وتجبراً، ولا اتخاذ حاجب عليه،

بها مشهور مزور.

(١) في (ب) : بعزم.

(٢) حديث: (إنما الأعمال بالنيات) رواه البخاري، وفي أمالي الإمام أبي طالب نحوه.

إذ اتخذ الرسول ﷺ أنسا لحجابته[1]، ورد علياً عليه السلام في خبر الطير[2] ولم ينكر عليه[3]، ولا اتخاذ خادم يلبسه نعليه ويحفظهما له اذا خلعهما، إذ كان ابن مسعود يتولى ذلك[4] من رسول الله ﷺ، ولا عدم

---

(١) وفي بعض الروايات عنه قال: (لما قدم النبي ﷺ المدينة أخذ أبو طلحة بيدي، فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن أنساً غلام كيس فليخدمك، قال: فخدمته في السفر والحضر، والله ما قال لي لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه: لِمَ لَمْ تصنع هذا هكذا؟) أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، والترمذي، بروايات عدة.

(٢) عن أنس قال: (كان عند رسول الله ﷺ طير، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك يأكل معي من هذا الطير، فجاء علي عليه السلام، فأكل معه)، وقال رزين: في هذا الحديث قصة، وفي آخرها: (أن أنساً قال لعلي: استغفر لي ولك عندي بشارة، ففعل، فأخبره بقول رسول الله ﷺ).

(٣) لم ينكر عليه الحجابة، وأنكر عليه رده لأمير المؤمنين عليه السلام إذ قال له: (ما حملك على رد علي فقال: لما سمعتك أحببتُ أن يكون الداخلُ رجلاً من قومي، فقال النبي ﷺ: إن الرجل ليحب قومه).

(٤) قال في سيرة البحر وغيرها: (وكان ابن مسعود صاحب =

إنكار تقبيل قدمه، إذ لم ينكره على أهل غزوة مؤتة يوم رجوعهم.

فصل: [العجب]

والعجب: مسرة بحصول أمر يصحبها تطاول على من لم يحصل بقول أو ما في حكمه من فعل أو ترك أو اعتقاد، وقد ورد الشرع بتحريمه في قوله ﷺ: (لو لم تذنبوا لخفت عليكم ما هو أعظم من ذلك)[1]، حتى قيل أنه من محبطات الطاعة، والإجماع

نعليه، كان إذا قام ألبسهما إياه، وإذا جلس خلعهما وجعلهما في ذراعيه حتى يقوم، وكان عقبة بن عامر الجهني صاحب بغلته يقود به في الأسفار)، وفي حديث أخرجه البخاري ومسلم عن أبي الدرداء أنه قال لرجل من أهل الكوفة: أو ليس فيكم ابن أم عبد صاحب النعلين، والوسادة، والمطهرة.

(١) قوله: (لخفت عليكم ما هو أعظم من ذلك) الخبر، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر منه، العجب)، رواه البزار بإسناد جيد، هذا حديث العلامة ابن بهران، وفي الحديث نظر.

على قبحه، ومنه ما رُوى أن بعض الصحابة [1] رضي الله عنهم يوم غزوة حنين رأى جنود [2] المسلمين فقال: (لن نؤتى اليوم من قلة) فقال تعالى: {**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً**}[التوبة:٢٥]، الآية، فتضمن كلامه التطاول بكون جندهم[3] أكثر من جند خصومهم الذين خرجوا لقتالهم مع ما حصل له من المسرة بذلك والقصة مشهورة.

فرع: والقبيح في التحقيق إنما هو أمران

---

(١) قال في الامتاع في حديث غزوة حنين: (وخرج رسول الله ﷺ ومعه اثنا عشر ألف رجل، عشرة آلاف من المدينة، وألفان من أهل مكة، وهم الطلقاء، فقال رجل من بني بكر: لو لقينا بني شيبان ما بالينا، ولا يغلبنا اليوم من قلة، فأنزل الله تبارك وتعالى: { **لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ**}...الآية.

(٢) في (ب): رأى كثرة الجنود.

(٣) في (ب) : جنودهم.

يصحبان المسرة، أحدهما: قول أو فعل يوهم التطاول، والفخر على من لم يحصل له مثل ذلك. وثانيهما: أن يعتقد أنه [1] يستحق لأجل ذلك المحصول أن يعظمه الناس أو منـزلة رفيعة عند الله تعالى على سبيل القطع، فيؤول إلى الكبر حينئذ، فأما مجرد المسرة فلا يمكن دفعها، فلا قبح فيها.

فـرع: ولا فرق بين أن تكون تلك الخصلة التي حصل بها الاعجاب إضطرارية كجمال، أو فصاحة، أو كثرة عشيرة، أو مال، أو بنين، أم إختيارية كإقدام، أو كثرة علم، أو طاعة، أو نحو ذلك، فإن العجب بذلك كله قبيح شرعاً، ولا أعرف فيه خلافاً، ومنه ماحكاه الله سبحانه من قول فرعون:{**أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ**

---

(١) في (ب) : أن نفسه تستحق.

تَحْتِي﴾ [الزخرف:٥١]، متطاولاً بذلك على موسى عليه السلام حيث لم يحصل له مثله، ونظائر ذلك كثيرة.

فصـل: [الرياء]

والرياء: ممدود فعال بكسرة الفاء، مصدر فاعل بفتح العين رأي رياء [١] ومراءاة، كقاتل قتالاً ومقاتلة، وهو من الرؤية، قلبت الهمزة ياء كما يقتضيه قانون التصريف.

وهو في اللغة: عبارة عن فعل أمر من الأمور المستحسنة، لا لغرض، سوى أن يراه غيره عليه طلباً للثناء أو غيره من تورية، أو نحوها.

وأما في الشرع : فهو أن يفعل طاعة، أو يترك معصية مريداً بذلك حصول شرف في الدنيا بثناء أو غيره، وسواء أراد مع ذلك التقرب إلى الله تعالى أم

---

(١) في (ب) : أرياء.

لا، فإنه رياء شرعي بدليل قوله ً لمن سأله[1] عن قصد مجموع هذين الأمرين: (لا شريك لله في عبادته) حتى نزل قوله تعالى:{**وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**}[الكهف:١١٠]، وأدلة تحريمه شرعاً الاجماع، وقوله تعالى:{**يُرَاءُونَ النَّاسَ**}[النساء:١٤٢] {**كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ**

---

(١) لفظه: عن ابن عباس قال: قال: رجل يا رسول الله: إني أقف الموقف أريد وجه الله تعالى، وأريد أن يرى موطني، فلم يرد عليه رسول الله ً، حتى نزلت:{ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**} [الكهف:١١٠]، رواه الحاكم وغيره، وعن أبي أمامة قال: (جاء رجل إلى رسول الله ً فقال: أرأيت رجلاً غداً يلتمس الأجر والذكر، ما له ؟ فقال رسول الله ً: لا شيء له، فأعادها ثلاث مرات، كلها يقول رسول الله ً: لا شيء له، ثم قال: (إن الله عز وجل لا يقبل من العلم، إلا ما كان خالصاً، وابتغي به وجهه)، رواه أبو داود والنسائي، وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ً يقول: ((قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)) أخرجه مسلم، وفي ذلك أحاديث كثيرة.

رِئَاءَ النَّاسِ} [البقرة:٢٦٤] ونحوهـا.

فـرع: وليس من شرط الإخلاص في العبادة [١] كراهة الثناء عليها، وكراهة أن لا يطلع عليها غير الله تعالى، بل أن لا يريدهما، **فالإخلاص:** هو أن يفعل الطاعة أو يترك المعصية للوجه المشروع غير مريد الثناء على ذلك، فهذا هو الاخلاص لأنه نقيض الرياء كما نبه الله تعالى على ذلك:{ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً**} [الإنسان:٩]، فجعل إخلاصهم عدم إرادة الجزاء والشكر لا كراهتهما، لايقال إن لم يرده فهو كاره له، لأنا نقول: قد لا يريد الشيء، ولا يكرهه كما هو مقرر في علم الكلام.

---

(١) في (ب) : بدون الإخلاص.

[الطاعة الخالصة]

فرع: فلو فعل الطاعة أو ترك المعصية للوجه المشروع غير مريد أن يراه غيره فيثني عليه فهو مخلص قطعاً، سيما إذا اجتهد في كتمانها، فمن البعيد أن يجتهد في الكتمان، ويريد أن يطلع عليه، فأما لو خطر بباله محبة أن يطلع عليه وقد دافعه في العناية بالكتمان، فليس بمراء، مالم يفعل سبباً للإطلاع من رفع الصوت بالتلاوة لهذا القصد، ونحو ذلك فإن فعل فمراء، وعليه يحمل الخبر المشهور [1] فيمن أحب أن يطلع عليه وقد اجتهد في الكتمان، فإن الوسواس وشهوات النفس لا يمكن الاحتراز منها، بل الواجب المدافعة، وقد دافع

---

(١) قيل: هو ما روي عن عبادة بن الصامت عن النبي ً أنه قال: (إن الرجل ليقوم في الليلة القرة فيتطهر فيحسن الطهور ثم يدخل بيته فيرسل ستره عليه فيصلي، فتصعد الملائكة بعمله فيرد عليهم فيقولون: ربنا إنك تعلم أنا لم نرفع إلا حقاًفيقول:صدقتم، وهو يحب أن يعلم ذلك.

بتحري الكتمان، وقد يحسن من العبد إظهار الطاعات لمصلحة نحو : أن يكون ممن يقتدى به فيفعله كفعله، فيكون إظهاره كالأمر بالمعروف، ومنه: أن يكون متهماً برذيلة وهو منها بريء، وبإظهار طاعة تذهب التهمة فيكون إظهارها كالنهي عن المنكر، ونحو أن يكون في إظهارها تأكيد صحة توبته عند من اطلع منه على فعل معصية، وهذا لاحق بدفع التهمة، وإن لم يكن ثَمَّ تهمة بل تأكيد لتصحيح التوبة، ونحو أن يكون بإظهار الطاعات نفوذ كلمته فيما يأمر به وينهى عنه، وقرب الناس إلى إجابة دعوته إلى الحق وإماتة الباطل فيكون كالأمر بالمعروف حينئذ، ونحو أن يحضر جماعة في مسجد أو غيره لانتظار صلاة أو نحو ذلك فيتطوعوا بتحية المسجد أو غيرها، وإذا ترك أحدهم التطوع نسب إلى التقصير والاستهانة بالخيرات فيحسن منه الدخول في مثل فعلهم دفعاً لمثل هذه التهمة، ولا يبعد أن يجب عليه،

لقوله ً: (من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يقفن مواقف التهم) ونظائر ذلك كثير، والأعمال بالنيات[1].

[التمدح بعمل الغير]

فرع: ومن الرياء أن يوهم أنه فعل فعلاً ليحمد عليه ولم يفعله، وقد توعد الله على ذلك حيث قال تعالى: ﴿**وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ**﴾[2] [آل عمران:١٨٨] فأما لو أحب ذلك ولم يوهم

---

(١) حديث: (إنما الأعمال بالنيات...) رواه البخاري، وفي أمالي الإمام أبي طالب عليه السلام نحوه.

(٢) نزلت هذه الآية في يهود سألهم النبي ً عن شيء مما في التوراة، فأخبروه بخلاف ما فيها، وفرحوا بقبول خبرهم الكاذب، وأحبوا أن يحمدهم على الصدق الذي صدّقوه، فنزلت: ﴿**لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران:١٨٨]، معنى ذلك: أي من رجوعك إليهم، وتأهيلك إياهم للسؤال، ويحبون أن يحمدوا بما لم =

أنه فعله، فالأقرب إنه قبيح أيضاً لأنه محبة للكذب وما في حكمه.

[التقليل من الأكل ليقال عنه]

فرع: ومن الرياء أن يرى أنه يأكل قليلاً ليوصف بالقناعة والشهامة وقد ورد أن المرائي في أكله كالمرائي في دينه[1]، ونحوه فأما من تركه إيثاراً للغير، ولئلا يوصف بالنهم حيث رفع القوم وبقي فلا حرج في ذلك.

يفعلوا من الصدق.

(١) قال العلاّمة ابن بهران: ما أظن لذلك أصلاً في حديث النبي ﷺ بل هو كلام بعض السلف والحديث الصحيح: (المتشبع بما لا يُعطَ كلابس ثوبي زور)، وهو يشمل التشبع بدعوى القناعة وغيرها.

[فصل: [المباهـــاة]

والمباهاة نوع من الرياء مخصوص، وهي أن يجتهد في إظهار الخصال التي يشرف بها عند الناس طلباً للشرف والتعظيم كالمباهاة بحلق التدريس وكثرة أهلها[1]، والانتصاب لها حيث يراه الناس طلباً للشرف عندهم وعرض الجاه فيهم لغرض دنيوي لا ديني، وقد ورد الوعيد على ذلك في الأثر عنه ﷺ: «من سمّع بعلمه سمّع الله به كل سامع يوم القيامة» [2] وقوله ﷺ: «من طلب العلم ليصرف وجوه الناس إليه» الخبر، ونحوهما كثير.

---

(١) في (ب) : وكثرتها.

(٢) عن عبدالله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من سمّع الناس بعلمه سمّع الله به سامع خلقه، وصغّره، وحقّره)، رواه الطبراني والبيهقي.

فصل: [المكاثرة]

والمكاثرة نوع من المباهاة، إلاّ أنها تختص المكاثرة بالأعيان، كالمال، والرجال عشيرة، أو أتباعاً، والمباهاة قد تكون بذلك أو بأي من الخصال المحمودة في الناس فهي أعم من المكاثرة، وكلاهما قبيح[1] قال تعالى: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}[التكاثر:١] ولا خلاف في قبحهما.

فرع: ومن المباهاة التفيهق في المحافل بتكلف الكلام البليغ، وغرائب المسائل طلباً للشرف، وقد صرح ً بتحريمه حيث قال: (الثرثارون المتفيهقون)[2].

---

(١) في (ب) : قبيحان.

(٢) عن جابر أن رسول الله ً قال: (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة: الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون =

والفيهقة: الكلام بملئ الشدق تبجحاً، وأما قوله ً: ((أنا أفصح من نطق بالضاد)) [1] فإنما أراد الإخبار بنعمة الله عليه لا الحث على التفيهق في المجالس طلباً للشرف، فأما لو أراد الإتيان بالكلام تحرياً للأوقع في النفوس في تأدية المعنى الذي قصده، لا يقال أنه بليغ فليس ذلك من التفيهق في شيء بل من المندوبات وقد قال ً: ((إن من البيان لسحراً)) [2] أي ياخذ في القلوب ويعمل فيها عمل

والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون)، أخرجه الترمذي، وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: (إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة)، أخرجه الترمذي برقم:(٣٠١١) بلفظ البقرة، وفي المعنى غير ذلك، وورد في الأمالي لأبي طالب عليه السلام.

(١) هكذا يروى، والله أعلم بصحته، ذكره أهل الغريب ومعناه صحيح، وإن لم يرد لفظه.

(٢) عن ابن عمر قال: (قدم رجلان من المشرق في زمان رسول الله ً، فخطبا، فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله ً: إن من البيان لسحرا، أو إن من بعض البيان لسحرا) أخرجه =

السحر فندب ً الى تحري أبلغ الفصاحة لهذا القصد.

[المباهاة بقصد المصلحة]

فرع: نعم قد يحسن من العالم الخامل[1] ما صورته المباهاة من العناية في ظهور علمه بإظهار التدريس والتكلم في المحافل في المسائل العويصة، ونحو ذلك ليقصده الناس فينتفعوا بعلمه ويرشدوا به، إذ يكون كالأمر بالمعروف ومنه قول يوسف عليه السلام: {إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف:٥٥]، لا لمجرد الشرف والرئاسة لما مر.

البخاري، وأبو داود، وعن بريدة قال: سمعت رسول الله ً يقول: (إن من البيان لسحرا، وإن من العلم جهلاً، وإن من الشعر حكماً، وإن من القول عيالاً) أخرجه أبو داود مع زيادة.

(١) في (ب) : أي المغمور غير المشهور.

فرع: فأما لو طلب بذلك دفع الاستخفاف به وحطه عن مرتبته التي يستحقها مثله حيث ينزله الناس منزلة من هو دونه فيحتمل الجواز لجريه مجرى النهي عن المنكر، وهو إضاعة حقه، وقد قال ﷺ: «لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه» لا يعرف الفضل لأهل الفضل، إلاّ أولوا الفضل[1] ويحتمل التحريم، إذ ذلك نوع من طلب الشرف وقد نهي عنه، والأقرب الأول، ولا بأس بطلب القدر المستحق له من التشريف، إذ في تركه إستخفاف وهو حرام، ودفع الحرام واجب، ومن ثم سقطت عدالة من حط مرتبة نفسه بالأكل في السوق والبول في السكك ومجالسة الأرذال.

فرع : فأما لو قصد بإظهار علمه بعث الناس

---

(١) قال العلاّمة ابن بهران: أخرجه الخطيب في التاريخ عن أنس، وابن عساكر عن عائشة -لعله من كلام بعض السلف، والله أعلم.

على مواساته بما يقوم بعائلته ويسد خلته من الحقوق التي يستحقها أو من خالص أموالهم، فالأقرب التحريم لجريه مجرى التكسب بالعبادة والعلم، وأخذ الأجر على ذلك، ويحتمل الجواز إن لم يقصد الشرف، كما يجوز الدخول في القضاء ليعود عليه بما يقوم بمؤنته كما مر[1]، والأول أظهر.

[التفاخر بالآباء والأقارب]

فرع: ومن المباهاة التفاخر بالآباء والأقارب الذين شرفوا بالدنيا لا بالدين، وقد قال تعالى:{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[الحجرات:١٣]، وقال عليه السلام: ((الناس كأسنان المشط، لا فضل لأحد على أحد إلا بتقوى الله تعالى))[2] فما من شرف بالدين فلا حرج

---

(١) في كتاب القضاء من البحر الزخار:١٠٩/٥، وما بعدها.

(٢) قال شيخنا السيد العلامة المجتهد مجد الدين المؤيدي حفظه =

في الافتخار به، إذ فيه رفع منارة الدين، وقد قال

الله: (هذا الخبر ونحوه محمول على ما يعمهم من الأحكام، كالقصاص والديات والمجازاة لكل بما عمل من التكاليف العامة، كالشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج ...إلخ، فأما في غير ذلك فالآيات القرآنية كقوله تعالى:{ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**} (المجادلة:١١)، وقوله تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**} (آل عمران :٣٣)، والأحاديث النبوية كقوله ً : (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريش، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم ..) الحديث بألفاظه الشريفة أخرجه أبو العباس والمرشد بالله ومسلم والترمذي وغيرهم دالة على تفضيل الله لبعض خلقه على بعض، وهي معلومة من ضرورة الدين، فمعنى قوله : (ليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى)، الباء في هذا أو نحوه بمعنى مع، فلا يعتد بالفضل عند الله إلا مع التقوى، فإذا اتقوا كان لكل أحد فضله، وقد فضّل الله بعض الرسل على بعض، وهم أتقى الخلق قال تعالى:{ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**} [البقرة :٢٥٣] . لوامع الأنوار : ٢/٢٣٠.

عليه السلام: «أنا ابن الذبيحين»[1] ونحوه كثير، فأما الافتخار بكثرة الرجال عدداً لا لأجل شرفهم، فهو من المكاثرة لا المباهاة.

[التطاول في رفع البنيان]

فرع: ومن المكاثرة رفع البنيان وزخرفتها فوق القدر المحتاج إليه، لقصد التطاول على من لا يستطيع ذلك والترأس عليه، فأما لو قصد مجرد التلذذ برؤيته لحسنها وكبرها والتزين والتجمل بذلك فلا إشكال في الجواز، وقد قال تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ} [الأعراف:٣٢]، وقال

---

(١) المراد بالذبيحين: سيدنا إسماعيل ابن سيدنا إبراهيم عليهما السلام، وعبدالله بن عبدالمطلب، لأن عبدالمطلب كان نذر بذبح أحد أولاده إن كملوا عشرة، فلما كملوا أقرع بينهم فخرجت القرعة على عبدالله والد نبينا محمد ﷺ، فاستشار عبدالمطلب قريشاً، فأشاروا عليه بفدائه بمائة من الإبل كما فدى الله إسماعيل بالذبح العظيم، ففداه بمائة من الإبل، فصارت دية للقتيل، انظر السيرة النبوية: ١٥٣/١.

تعالى: {لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً} [النحل:٨]، أي لتزينوا بها، وإن لم يحتج لركوب، وقال تعالى: {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ}[النحل:٦]، وقال ﷺ ما معناه: (إن الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى أثرها عليه)[1].

وأما الآثار الواردة في رفع البنيان فمنصرفة إلى ما قصد فيه المكاثرة والمفاخرة، لا لمجرد التجمل فقد فعله كثير من الصحابة والتابعين والعلماء الراشدين، كالزبير بن العوام وابن المبارك، ومحمد بن الحسن رضي الله عنهم، لكن اللائق بمن يقتدى به الزهد في ذلك لئلا يقوى حرص العوام على الاشتغال بطلب الملاذ وجمع الأموال. فينشغلوا عن الآخرة بطلبها:

والصَّيْدُ كُلّ الصيد في جوفِ الفَرا

ومن سَنَّ سنة حسنة كان له أجرها، وأجر من

---

(١) لفظه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) أخرجه الترمذي.

عمل بها إلى يوم القيامة.

فصل: [الحسد]

والحسد محرم شرعاً إجماعاً، لقوله ﷺ: (الحسد يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب) [1] الخبر ونحوه، وهو كراهة وصول النعم أو بقائها للغير، لا لوجه موجب من عداوة أو نحوها، ويجري مجرى الحسد على النعم الحسد على حسن الثناء ورفع الشأن.

فرع : فتجب مدافعته بتذكر قول الحكماء

---

(١) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (إياكم والحسد، فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، أو قال: العشب) أخرجه أبو داود برقم: (٤٩٠٣)، وعن الزبير أن رسول الله ﷺ قال: (دب إليكم داء الأمم قبلكم، الحسد والبغضاء، وهي الحالقة، أما إني لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على ما تتحابون به، أفشوا السلام بينكم) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٢٨).

(الحسود غضبان على من لا ذنب له) [1] ولا بأس أن يسأل الله أن يفعل له كما فعل للمحسود، لا تمني كونه له لقوله تعالى: {**وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْض**}[النساء:٣٢] {**وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ**} [النساء:٣٢]، ومحبة ذلك تسمى الغيرة، وقد ورد (الغيرة من الإيمان).

فرع: ويكون بالقلب كما ذكرنا، وبالقول كالوضع من المحسود بإنكار ما ينسب إليه من المكارم والتنبيه على عثراته المغفول عنها، لا لقصد التحذير بل لحط مرتبته التي حسده عليها، ومنه تكلف الطعن على عبارات المحسود من العلماء في مصنفاته مع احتمال التأويل، وتقبيح صناعاته فيها لا لقصد التنبيه، ومنه ترك التعريف

---

(١) بل بتذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على ذلك، إضافة إلى أقوال الحكماء، ولأن الغضب على من لا ذنب له قبيح، وهو اعتراض على المنعم في الواقع.

بما يعرفه الحاسد من محاسن المحسود، أو إيراد الملغزات عليه، ليظهر غلطه فيها وعليه الخبر الذي رواه صاحب الفردوس:[1] «لا تقبلوا أقوال العلماء بعضهم على بعض، فإن حسدهم عدد نجوم السماء، وإن الله لا ينـزع الحسد من قلوبهم حتى يدخلهم الجنة» وهذا محمول على أنهم يتنبهون على ما صدر منهم فيتوبون أو كونه صغيرة بالنظر الى ثوابهم في الجنة، وفيه نظر[2].

---

(١) قال العلاّمة ابن بهران: لا أظن هذا الخبر يصح عن النبي ﷺ، إذ لا يشبه كلامه الشريف ﷺ، والله أعلم،، وقال الجلال في تلقيح الأفهام ص١٩٨: (الضعف لائح على الحديث من جهة تركيبه)، وصاحب الفردوس هو أبو منصور شهردار بن أبي شجاع الديلمي، عالم، فقيه، محدث من أهل همذان، انظر تذكرة الحفاظ:١٢٥٩/٤.

(٢) نبّه المؤلف إلى أن في التأويلين نظراً لسببين: الأول: ظاهر الحديث يوحي في أن نـزع الحسد لا يكون إلا بعد دخول الجنة، والتوبة تستلزم نـزعه قبل ذلك، والثاني: لما ورد في الحسد من أحاديث أنه يأكل الحسنات، ومن ذلك أنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، وغير ذلك.

فصل:[الغل والحقد]

والغل والحقد بمعنى واحد، وقد نهى الله سبحانه عنه بقوله: {وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا} [الحشر:١٠]، ونحوها، وهو أمر متوسط بين الحسد والعداوة، وهو إرادة نـزول ضرر بالمؤمن، أو فوت نفع عنه، فالحسد: كراهة المنفعة، والغل: إرادة نـزول المضرة أو فوت المنفعة، والعداوة: هي الإرادة مع العزم على فعل الضرر بالعدو إن أمكن، والغل والحقد لا يصحبها عزم على فعل وإن أمكن فهذا هو الفارق بين الغل والحسد والعداوة.

فصل:[ظـن الســـوء]

وظن السوء: هو أن تظن بأخيك المسلم فعل القبيح، أو إخلالاً بواجب من دون إقرار منه، ولا أمارة يوجب الشرع العمل بها كالشهادة العادلة الكاملة، وما يجري مجراها، ودليل تحريمه قوله تعالى: {اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} [الحجرات:١٢]،

وهذه الآية مجملة، بيّنها الله سبحانه في قوله تعالى:{ لَوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ} [النور:١٣]، وقوله تعالى: {وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ}[البقرة:٢٨٢]، وعن بعض الحكماء: (إياك وظن السوء فإنه لن يدع بينك وبين صديقك صلحاً).

فرع: والاجماع على قبح هذا الظن وعلى وجوب التأويل حيث أمكن، وفي الأثر عنه ً: ((إذا رأيتم أحدكم في خصلة تستنكرونها، فتأولوا له نيفاً وسبعين تأويلاً، أو قال اثنين وسبعين تأويلا)) [1]

---

(١) هكذا يروى، والله أعلم، وعن أبي هريرة أن رسول الله ً قال: (إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم، المسلم أخو المسلم لا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا -ويشير إلى صدره- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه، إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) أخرجه الستة إلا النسائي، واللفظ لمسلم.

وهو مطابق لقول الله تعالى:{لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً}[النور:١٢]، أي طلبوا [١] التأويل فظنوا الخير، إذ لا يمكن ظن الخير مع عدم التأويل.

[قبح سوء الظن]

فرع: وظن السوء هو أحد أسباب الغل، فيجب دفعه بالتأويل، فإن تعذر عليه ما يدفع الظن لزمه مباحثة المظنون فيه عن ذلك ليحصل أحد مخالص، إما اعترافه وتمرده عن التوبة، فيسلم الظان من خطر الظن، أو توبته فيهديه الله على يديه وهو خير له مما طلعت عليه الشمس، أو ينكشف له كذب تلك الأمارة التي بعثت على[٢] الظن فينتفي، كقصة علي عليه السلام والصحابي[٣] الذي رآه يدخل إلى

---

(١) في تلقيح الأفهام: (تطلبوا).

(٢) في (ب): عليه.

(٣) ذكر في سيرة ابن هشام، عن علي عليه السلام أنه قال: =

المرأة، وكان سبب نـزول قوله تعالى: {يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً} (١) [البقرة:٢٧٤].

فـرع: وليس له تكذيبه فيما اعتذر به، مهما لم

(كانت امرأة مسلمة بقباء لا زوج لها، فرأيت إنساناً يأتيها من جوف الليل، فيضرب عليها بابها، فيعطيها شيئاً معه فتأخذه، فاستربت بشأنه قال: فقلت لها: يا أمة الله من هذا الرجل الذي يضرب عليك بابك كل ليلة، فيعطيك شيئاً لا أدري ما هو وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك، قالت: هذا سهل بن حنيف، قد عرف أني إمرأة لا أحد لي، فإذا أمسى غدا على أوثان قومه فكسرها، ثم جاءني بها، فقال: احتفظي بهذا.

(١) الصحيح أن سبب نزول هذه الآية هو تصدق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بأربعة دراهم لا يملك غيرها تصدق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية، ذكر هذا أئمتنا عليهم السلام في تفسير أهل البيت (خ)، وتفسير الحبري:٢٤٣ والجشمي في تنبيه الغافلين، وغيرهم من المفسرين والمحدثين كالواحدي في أسباب النزول:٦٤، والشوكاني في فتح القدير:٢٦٥/١، وابن كثير:٣٢٦/١، والطبراني في المعجم: ١١٤/٣، وابن المغازلي في المناقب:٢٨٠، وفي مجمع الزوائد:٣٢٤/٦، وله شواهد ومتابعات.

يتيقن كذبه فيه، لقوله عليه السلام: ((المؤمن إذا قال صدق، وإذا قيل له صدق))[1] ، {قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ}[التوبة:٦١].

فرع: وعليه إن عثر من أخيه على خطيئة واستتابه منها أن يسترها، ولا يذيعها لقوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا}[النور:١٩] الآية، وقد قال القاسم [2]عليه السلام:

---

(١) هكذا يروى، وله شواهد منها: (يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب).

(٢) الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، نجم الآل الأكرمين. ولد بالمدينة سنة (١٦٩) هـ فاق أقرانه،وكان وحيد عصره، وفريد دهره، وعين زمانه، فقهاً وعلماً وتواضعاً وورعاً وشجاعة، مكث بمصر ما يقارب عشر سنوات نشر خلالها عقائد أهل البيت، وكان المأمون يشدد في طلبه. ولما توفي شقيقه محمد بن إبراهيم قام بأمر الإمامة، وبايعه رؤساء العترة،حتى سميت بيعته البيعة الجامعة لإجماعهم عليها. طاردته الجيوش العباسية مرارا في اليمن والحجاز، خلّف لنا تراثاً فكرياً رائعاً ومنه : (كتاب العدل =

«أصحب من صحبت بالستر لعورته، والإقالة لعثرته، ولا تطل معاتبته إذا هفا، ولا جفوته إذا جفا، فإن زل فأقله، وإن قصر فاحتمله» فإن تمرد عن التوبة فعليك أن تحذر منه، لقوله ﷺ: «اذكروا الفاسق بما فيه لكي يحذره الناس» ونحوه، وعليه يحمل قول النبي ﷺ: «لا غيبة لفاسق»[1].

فصل: [المـوالاة والمعـاداة]

والموالاة والمعاداة في الدين واجبتان إجماعاً، وهو معلوم من دين الأمة ضرورة، فمن أنكره فسق، وفي كفره تردد، ويحتمل التكفير لرده قوله

والتوحيد)، (والدليل الكبير على الله)، (والرد على الروافض)، (والرد على الملحد)، وله الكثير من المؤلفات التي تزيد على العشرين مؤلفاً. أخباره كثيرة، ومناقبه غزيرة توفي سنـة (٢٤٦)هـ بالرس رحمه الله تعالى.

(١) عن جابر وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: (لا غيبة لفاسق، ولا مجاهر، وكل أمتي معافى إلا المجاهرون) ذكره رزين بن معاوية، تلقيح الأفهام:٣١٤.

تعالى: { لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآْخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [المجادلة:٢٢]، فإنه أنكر إيمان المواد لهم، وقوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة:٥١]، أي حكمه حكمهم، وهذا على التغليظ والتشديد وقال ابن عباس: كافر مثلهم.

فرع: وحقيقة موالاة الغير هي أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك، كما نبه عليه ً حيث قال: (لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرى لأخيه المؤمن ما يرى لنفسه، ويكره له ما يكره لها) (١) أو كما قال، وحقيقة المعاداة للغير أن يريد إنزال المضرة به وصرف المنافع عنه، ويعزم على ذلك

---

(١) لفظ الحديث عن أنس قال: قال رسول الله ً: (والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره - أولأخيه - ما يحب لنفسه) رواه مسلم، وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ً: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) أخرجه البخاري ومسلم.

إن قدر عليه، ولم يعرض صارف يرجح الترك.

فرع: وإنما يكونان دينيين حيث يواليه لكونه ولياً لله تعالى، ويعاديه عدواً له، كما نبه عليه ً في قوله: ((من أحب لله، وأبغض لله)) [1] الخبر، فإن لم يكونا كذلك فدنيويان، نحو: أن يحب الخير لقرابته منه أو لنفعه له، ويحب له الشر لمضرته له، أو لمن يحب.

[حكم موالاة الكافر والفاسق]

فرع: وإنما تحرم موالاة الكافر والفاسق الدينية فقط لما مر، وتجوز الدنيوية الا ما حرمه الشرع من ذلك وهو ثلاثة أنواع: **الأول** : تعظيمه بقول أو فعل وقد قال تعالى:{ **وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً**} [التوبة:١٢٣]

---

(١) تمامه: (وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان) أخرجه أبو داود من رواية أبي أمامة برقم (٤٦٨١)، والترمذي برقم (٢٦٤٢).

وقال تعالى: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون:٨]، وفي تعظيمه إشراكه في العزة، وللفاسق حكم الكافر في وجوب الاستخفاف به، وقوله ً: ((من مشى إلى ظالم وهو يعلم أنه ظالم فقد برئ من الإسلام))[1] أراد من مشى إليه تعظيماً له، إما بزيارة أو تسليم أو تهنئة، أو وداع، لا لحاجة عارضة يعلم أنه إنما مشى من أجلها فيجوز، كما مشى ً إلى بيت أبي

---

(١) هكذا رواه الغزالي، وغيره، ولفظه: عن أوس بن شرحبيل أحد بني أشجع أنه سمع رسول الله ً يقول: (من مشى مع ظالم ليعينه، وهو يعلم أنه ظالم، فقد خرج من الإسلام) رواه الطبراني برقم (٩٠٤٩)، وعن كعب بن عجرة قال: قال رسول الله ً: (أعيذك بالله ياكعب بن عجرة من أمراء سيكونون من بعدي، فمن غشي أبوابهم وصدقهم في كذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه، ولا يرد علي الحوض، ومن غشي أبوابهم، أو لم يغش فلم يصدقهم في كذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فهو مني وأنا منه، وسيرد علي الحوض) هذا لفظ رواية الترمذي باب الجمعة:٢٨٠، وفي ذلك أحاديث أخر في أمالي الإمام أبي طالب عليه السلام، وفي كتاب الترغيب والترهيب للمنذري.

جهل[1] ليأمره بإيفاء غريمه، وأما تعظيمه لمصلحة

---

(١) قوله: (كما مشى ً إلى بيت أبي جهل..) الخ، حكى في سيرة ابن هشام أن رجلاً من أراش أو أرشة قدم بإبل له مكة، فابتاعها منه أبو جهل، فمطله بأثمانها، فأقبل الأراشي حتى وقف على نادي قريش، ورسول الله ً في ناحية المسجد جالس، فقال: يا معشر قريش من رجل يؤديني على أبي الحكم بن هشام، فإني رجل غريب، ابن سبيل، وقد غلبني على حقي، فقال له أهل ذلك المجلس: أترى ذلك الرجل لرسول الله ً وهم يهزؤن به لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة، فاذهب إليه، فهو يؤديك عليه، فأقبل الأراشي حتى وقف على رسول الله ً، فقال : يا عبد الله إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قبله، وإني غريب، ابن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه يأخذ لي حقي منه، فأشاروا لي عليك، فخذ لي حقي منه يرحمك الله، قال: فانطلق إليه، فقام معه رسول الله ً، فلما رأوه قام معه، قالوا لرجل ممن معهم: اتبعه فانظر ماذا يصنع؟ قال: وخرج رسول الله ً حتى جاءه فضرب عليه بابه، فقال: من هذا؟ قال: محمد، فاخرج إلي، فخرج إليه وما في وجهه من رائحة قد انتقع لونه، فقال: اعط هذا الرجل حقه، فقال: نعم، لا أبرح حتى أعطيه الذي له، قال: فدخل فخرج إليه بحقه، فدفعه إليه، قال: ثم انصرف رسول الله ً، =

دينية فجائز كما سيأتي، فأما لمجرد استعطافه، رجاءً لإحسانه، أو دفعاً لمضرته، فلا يجوز، كما سيأتي.

والنوع الثاني: ما يحصل به إعانته على فسقه من قول، أو فعل، وإن لم يتضمن تعظيماً، لقوله ﷺ: «من لاق لهم دواة أو برى لهم قلماً»[1] ، الخبر

وقال للأراشي: الحق بشأنك، فأقبل الأراشي حتى وقف على ذلك المجلس، فقال: جزاه الله عني خيراً، فقد والله أخذ لي حقي، قال: وجاء الرجل الذي بعثوه معه فأخبرهم الخبر، ثم لم يلبث أبو جهل أن جاءهم، فقالوا: ويلك مالك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط، فقال: ويحكم، والله ما هو إلا أن ضرب على بابي وسمعت صوته، فملئت منه رعباً، ثم خرجت إليه، وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته، ولا أنيابه لفحل قط، والله لو أبيت لأكلني، انظر سيرة ابن هشام: ٣٨٩/١-٣٩٠.

(١) عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا كان يوم القيامة نودي أين الظلمة وأعوان الظلمة وأشباه الظلمة، حتى من برى لهم قلماً، أو لاق لهم دواة، فيجمعون في تابوت من حديد، ويرمون في جهنم) حكاه في الشفاء وغيره.

ونحوه.

النوع الثالث: الدعاء لهم بالمغفرة ونحو ذلك لقوله تعالى:{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ} [التوبة:١١٣] فهذه جملة ما يحرم فعله للفاسق من المنافع، فأما الدعاء له بما يجوز من الله تعالى فعله كالرزق والعافية (١) فلا بأس بذلك لا طول البقاء كما سيأتي.

[تحريم معاداة المؤمن]

فرع: فأما معاداة المؤمن فلا يجوز دينيها ولا دنيويها مهما لم يصح فسقه، وليس من المعاداة الوحشة التي قل ما تخلو بين كثير من الفضلاء، كما كان بين علي عليه السلام، وبين بعض الصحابة، وبين الحسنين (٢) وصنوهما محمد بن الحنفية(١)، وبين

---

(١) لا يخفى أن الدعاء بهما كبري القلم ونحوه، إن لم يكونا أعظم منه.

(٢) في نسخة ما كان بين أحد الحسنين.

الحسن البصري، وابن سيرين، وبين واصل [٢] والحسن [٣] أيضاً، وغير ذلك كثير[٤]، إذ لا يريد كل

---

(١) محمد بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، أخو الحسنين من أبيهما، وهو من أبر إخوانهما بهما، وقد أوصاهما الإمام علي عليه السلام به، وأوصاه بمعرفة حقهما، وتزيين أمرهما، وعرف بابن الحنفية.

(٢) واصل بن عطاء المعتزلي، عالم، مشهور، من كبار المعتزلة، كان نادرة زمانه في الفصاحة، ولد سنة (٨٠)هـ، وقرأ على الحسن البصري، ولكنه اعتزله، لاختلافه معه في المنـزلة بين المنـزلتين، وكان يفضل أمير المؤمنين على غيره، توفي سنة (١٣١)هـ.

(٣) الحسن البصري، وهو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد، مولى أم سلمة، أحد الأعلام، كان إمام أهل البصرة، ومن عظماء التابعين وكبارهم، اشتهر بعلمه وزهده وتقواه، وهو من أشهر المحدِّثين، أخباره كثيرة ومناقبه وفيرة.

(٤) كابن المسيب مع أبيه، وسفيان الثوري مع ابن أبي ليلى، وأحمد بن حنبل مع أولاده، وعمه، وابن عمه، وعبدالرحمن بن عوف مع عثمان، وطاووس مع منبه، وابن مسعود مع من ضحك في الجنازة، وغيرهم كثير.

منهم بصاحبه ضرراً، بل يدافع عنه ما أمكنه ذلك فلا عداوة، وإنما ذلك نوع غل يجب مدافعته.

[حكم المعاهدة بين المؤمن والفاسق]

فرع: فأما التعاهد بين المؤمن والفاسق أو الكافر فقد ذكر المنصور بالله عليه السلام:[1] أنها موالاة توجب الكفر والفسق، والأقرب عندي أن المناصرة إنما تكون موالاة حيث تكون عامة، وهي أن يتعاقد على أن وليهما واحد كائناً من كان، وعدوهما واحد كائناً من كان، فهذه محرمة شرعاً لتضمنها معاداة المؤمنين حيث يعادون الفاسق لفسقه، أو الكافر لكفره، وأما إذا كانت خاصة نحو أن يتعاقدا على حرب [2] قوم مخصوصين، فليست موالاة حقيقية فتوجب كفراً، أو فسقاً، لكن إذا كانت المناصرة

---

(١) تقدمت ترجمته عليه السلام.

(٢) في (ب) : معاداة.

عليهم حسنة، حسنت وإلا قبحت، لا لكونها موالاة، بل لكونها إعانة على منكر، فأما من يحسن حربه فلا بأس بالاستعانة عليه بالفساق والكفار كما مر، وقد استعان الناصر [1] بجستان[1] ملك المجوس وكان

---

(١) الإمام الناصر: الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، أبو محمد، الناصر للحق الأطروش، أحد أئمة الزيدية وعظمائها، قال في مطلع البدور: السيد الإمام الكبير المجتهد الحافظ، شيخ الشيوخ علي بن الحسن إلخ، والد الناصر الكبير، شيخ العترة، كان من المحدثين، والفقهاء، روى عن أبيه وعن إبراهيم بن رجاء الشيباني، وعنه: محمد بن المنصور المرادي وولداه الناصر والحسين وأحمد بن محمد بن جعفر العلوي، ولد عليه السلام بالمدينة المنورة سنة (٢٣٠) هـ . توجه إلى بلاد الديلم، وأهلها مشركون، ومجوس، فدعاهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، ويروى أنه أسلم على يديه مليون نسمة تحولوا فيما بعد إلى دعاة ومجاهدين، وزهاد، وعباد. قال الإمام الهادي في حقه: الناصر عالم آل محمد كبحر زاخر، بعيد القعر، توفي سلام الله عليه : سنة (٣٠٤) هـ، بآمل، ودفن بها، وقبره مشهور مزور، وقد خلف لنا كثيراً من مؤلفاته العظيمة، ومنها: البساط، والتفسير، والحجج =

يغير إليه مائة ألف من أتباعه، واستعان علي عليه السلام بسعيد بن قيس [٢] وكان ملكاً في اليمن حتى قال فيه شعراً:

ولله در الحميري الذي أتـى إلينا مغيراً من بلاد التهايم
سعيد بن قيس خير حمير وأكرم من في عربها والداً والأعاجم

[تعظيم المؤمن]

فرع: ويستحق الموالاة والتعظيم من ظهر في

الواضحة بالدلائل الراجحة في الإمامة، الأمالي في الحديث، فدك والخميس، وغيرها من المؤلفات الباهرة في مختلف المواضيع.

(١) أحد ملوك المجوس، وقد أشار إليه الإمام إبراهيم بن محمد الوزير في بسّامته، حيث قال: (وكان إسلام جستان على يده في ألف ألف من العباد للشجر).

(٢) الأصح أنه الأشعث بن قيس، لأن سعيد بن قيس كان من خُلَّص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أعطاه راية همدان، وقال فيه الشعر الآنف الذكر.

حالة الإيمان، وإن كان باطنه مخالفاً لقوله عليه السلام: (نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر) [1]، ومن ثم صح أن يحكم للمكلف أنه حط عن مرتبته التي يستحقها من التعظيم لما يظهر من حاله، وإن كان لا يصح منه أن يعتقد أنه مستحق للتعظيم في نفس الأمر، كما لا يقطع أنه من أهل الجنة، بل يعلم أنه يستحق من غيره التعظيم بالنظر إلى ما يظهر منه من حسن الطريقة، فإن لم يفعل له ما يستحق بالنظر إلى ظاهره، فقد حط عن مرتبته، وليس له أن يطلب تبليغه تلك المرتبة، إلا حيث لم يعلم أنه يستحق الإهانة، لئلا يطلب ما ليس له، فإن لم يعلم أنه يستحق الإهانة فله المطالبة بما يستحق

---

(١) ليس بحديث كما نبه عليه الحفاظ، بل قيل إنه من كلام الشافعي، والمعروف عند المحدثين قوله ً: (إني لم أُؤمر أن أنقُبَ على قلوب الناس، ولا أشُقَّ صدورهم)، رواه مسلم في كتاب الزكاة: ١٤٤.

لظاهر حاله في الإيمان، لأن التعظيم مستحق لمن يعلم فسقه من المؤمنين، فله طلب ما يستحقه، والغضب من الاستخفاف به إذ هو ظلم حنيئذ.

[حكم التقليد في الموالاة والمعاداة]

فرع: قيل: والموالاة والمعاداة يختصان من بين سائر الأحكام الشرعية العملية بأنه لا يجوز التقليد فيهما لتفرعهما على الإيمان والكفر وهما علميان، أي لا يوالي إلا مؤمناً، ولا يعادي إلا كافراً أو فاسقاً، فمن لم تعلم إيمانه يقيناً بما يظهر من حاله ما يقتضي إيمانه لا في نفس الأمر تلزمك موالاته، ومن لم تعلم كفره أو فسقه يقيناً بما يظهر من حاله، لم تجز لك معاداته، فأما إقامة الحدود وحرب العوام للباطنية، وإن لم يحصل لهم علي يقين بالكفر والفسق، فإنما هو عمل يتعبد به، لا معاداة، فإنها من أفعال القلوب كما قدمنا، فالأئمة وإن أمروا

العوام بحرب الباطنية فليس الأمر كأمر الحاكم بإقامة حد، ولو أمروهم بالمعاداة القلبية، وإن لم يعلموا كفرهم أو فسقهم كان خطأ. هكذا ذكره بعض علماء أهل المذهب[1]، وهو محتمل للنظر، إذ يحتمل أن يقال: إذا قامت شهادة عادلة بإسلام يهودي أو توبة فاسق، وجب إجراء الأحكام الإسلامية عليه والموالاة من جملتها، ولا إشكال في ذلك، وكذلك لو شهد أنه فعل ما يوجب الفسق، وجب إجراء حكم[2] الفاسق عليه فينبغي التحقيق في ذلك.. نعم، فأما خبر الواحد العدل بإسلام، أو فسق، فالأقرب أنه لا يعمل به، إذ لم يعمل ً بخبر العباس وحده، أن أبا طالب قد أسلم[3]، ويحتمل جواز العمل به كالجرح

(١) لعل المقصود به القاضي العلامة الأصولي أحمد بن الحسن الرصاص المتوفى سنة (٦٢١)هـ.

(٢) في (ب) : أحكام.

(٣) قال في السيرة ما لفظه: (فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه، فأصغى إليه فقال: يا ابن =

والتعديل عند من لم يعتبر الشهادة.

فصل:[الحميـــــة]

والحمية: هي العزم على نصرة من له العازم وجه اختصاص من رحامة، أو ملة، أو ولاء.

أخي والله قد قال الكلمة التي أمرته أن يقولها، فقال رسول الله ﷺ: لم أسمع) والصحيح أن أبا طالب عليه السلام مات مسلماً، لأدلة كثيرة منها نصرته للنبي ﷺ، وقد أُلف في إسلامه كتب كثيرة منها:

١ـ (أسنى المطالب في نجاة أبي طالب) للسيد أحمد زيني دحلان.
٢ـ (أبو طالب) لمحمد كامل حسن المحامي.
٣ـ (عقيدة أبي طالب) للسيد طالب الحسيني الرفاعي.
٤ـ (إيمان أبي طالب) للشيخ المفيد.
٥ـ (أبو طالب مؤمن قريش) لعبدالله الخنيزي.
٦ـ (الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب) للسيد شمس الدين مختار بن معد.
٧ـ (شيخ الأبطح) للسيد محمد علي شرف الدين.
٨ـ (أبوطالب شيخ بني هاشم) لعبد العزيز سيد الأهل ... إلى غيرها من المؤلفات.

فرع: والحمية على المحق جائزة، بل واجبة، لقوله عليه السلام: ((المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضاً))[1] ، وعلى المبطل محرمة لقوله تعالى:{إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ} [الفتح:٢٦]، فذمهم على ذلك، والذم دليل القبح، وقوله ً: ((أو عصبية لحمية أعملوها))[2] وليس من الحمية القبيحة الغضب لذم أقارب الإنسان المبطلين بغير إبطالهم من جبن أو غيره، فإنه ً حين منصرفه من بدر الكبرى، لما سمع من ذم قريش بالجبن[3]، وهون

---

(١) لفظه عن أبي موسى أن رسول الله ً قال: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)) وشبك بين أصابعه، أخرجه البخاري برقم(٦٠٢٦).

(٢) روي عن النبي ً أنه قال: (إنما يؤتى الناس يوم القيامة من إحدى ثلاث: شبهة في الدين ارتكبوها، أو شهوة للذة آثروها، أو عصبية لحمية أعملوها)، رواه زيد الهاشمي في الأربعين السيلقية، وصححه الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام في شرحها (خ).

(٣) قوله: (لما سمع من ذم قريشاً بالجبن) قال في السيرة: ثم ارتحل النبي ً -يعني من بدر- حتى إذا كان بالروحاء لقيه =

أمرهم التفت إليه مغضباً فقال: «مهلاً يا أبا فلان فإن أولئك للملأ» الخبر.

[حكم إيذاء المسلم]

فرع: ويحرم قصد إيذاء المسلم بسب أقاربه المبطلين إذ لا مصلحة في سبهم حينئذ، ولا حرج على المتأذي بذلك، إذ لا يمكنه دفعه.

فصل: [المداهنــة]

والمداهنة : (إيثار مجاملة الفاسق على إنكار فسقه)[1] ورد الشرع بذمها، وفي الأثر: (إذا رأيت

المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين، فقال لهم سلمة بن سلامة الأنصاري: ما الذي تهنئونا به، فوالله إن لقينا إلا عجائز ظلعاً كالإبل المعقلة، فنحرناهم، فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: أي ابن أخي أولئك للملأ).

(١) ما بين القوسين زيادة من تلقيح الأفهام.

الرجل محموداً في جيرانه وعشيرته فهو مداهن [1] أو كما قال، ومعناها: التغاضي عن المنكر لئلا يغضب من [2] فاعله، قال الله تعالى:{وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ}[القلم:٩]، وهي قبيحة شرعاً، لوجوب النهي عن المنكر، وأقله بالقلب، ولو والداً أو ولداً، وقد قال ً: (القو الفساق بوجوه مكفهرة)[3] ، اقتضى الخبر أن من لم يلزمه النكير بلسانه لخلل شرط لم يحسن منه البشاشة والطلاقة في وجه فاعله، فهما حينئذ إدهان محرم، لما فيهما من إيهام عدم إنكار

---

(١) الظاهر أنه ليس من كلام النبي ً بل هو كلام سفيان الثوري لكنه يقال إن في بعض الكتب المنزلة: (إذا رأيت الرجل محبوباً في عشيرته، محموداً في جيرانه، فاعلم أنه لمداهن)، والمروي عن الرسول قوله ً: (إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت).

(٢) في (ب) : بدون من.

(٣) انظر النهاية:١٩٣/٤.

القبيح، فأما لو قبح عليه بفعله أو بلسانه لم يلزمه بعد ذلك هجره والغلظة عليه في كل حال، سيما إذا اضطر إلى مخالطته كالزوجة والخادم الفاسقين، لإجماع السلف على جواز مخالطتهما مع إنكار فسقهما حسب الإمكان.

[حكم إطعام الفاسق وأكل طعامه]

فرع: وليس من الإدهان إطعام الفاسق وأكل طعامه والنزول عليه وإنزاله. والسرور بمسرته، والعكس في بعض الأحوال، ومحبته لخصال خير فيه، أو لرحمة مع إظهار كراهة فعله، وفعل الواجب من النكير عليه كما كان منه ً في مخالفة من سماه الله تعالى فاسقاً[1]، حيث قال تعالى:{ إِنْ

---

(١) قال في الكشاف: (وبعث رسول الله ً الوليد بن عقبة- أخا عثمان لأمه، وهو الذي ولاّه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص، فصلى بالناس، وهو سكران صلاة الفجر أربعاً، ثم =

جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا} [الحجرات:٦]، وقوله تعالى:{لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ} [الممتحنة:٨]، إلى قوله تعالى:{أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا}[الممتحنة:٨]، وقد أطعم علي عليه السلام ابن ملجم(١) بعد أن ضربه، وأنـزل

قال: هل أزيدكم؟ فعزله عثمان عنهم- مصدقاً إلى بني المصطلق، وكانت بينه وبينهم إحنة، فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له، فحسبهم مقاتليه، فرجع وقال لرسول الله ً: قد ارتدوا ومنعوا الزكاة، فغضب رسول الله ً، وهمَّ أن يغزوهم، فبلغ القوم فوردوا وقالوا: نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم، وقال: لتنتهن أولأبعثن إليكم رجلاً هو عندي كنفسي يقتل مقاتلكم، ويسبي ذراريكم، ثم ضرب بيده على كتف علي بن أبي طالب، وقيل بعث إليهم خالد بن الوليد، فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين، فسلموا إليه الصدقات فرجع، قلت: وأنـزل الله في ذلك:{**إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**} [الحجرات:٦]، الآية.

(١) روي أن علياً عليه السلام لما ضربه ابن ملجم قال عليه السلام: (أطعموه، وأسقوه، وأحسنوا إساره، فإن عشت فالحق حقي، أرى فيه رأيي، وإن أمت فرأيكم في حقكم)، هكذا في إحدى الروايات، انظر الكامل:١٩٩/٣.

الرسول ﷺ وفد ثقيف في المسجد، وهم كفار.

فالفاسق أولى، ولا بأس بإلانة القول لهم مع فعل ما يجب من النكير، لقوله تعالى:{وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}﴾ [العنكبوت:٤٦]، وكفعله ﷺ مع الرجل (١) الذي قال فيه حين أذن له حاجبه: ((بئس ابن أخي العشيرة هو)) ثم أذن له، وألان له القول كما حكت عائشة رضي الله عنها.

---

(١) عن عائشة أن رجلاً استأذن على رسول الله ﷺ، فلما رآه قال: بئس أخو العشيرة، أو بئس ابن العشيرة، فلما جلس تطلق في وجهه وانبسط إليه، فلما انصرف قلت: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا، وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه، فقال يا عائشة: ومتى عهدتني فحّاشاً، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره)، هذه إحدى روايات حديث أخرجه الستة، البخاري برقم: (١٦٣٢)، وفتح الباري:٤٥٢/١٠.

[جواز تعظيم الكافر والفاسق لمصلحة عامة]

فرع: فأما تعظيم أهل الشرف من الكفار والفساق رجاء لرجوعهم إلى الخير، أو لنصرتهم الحق، أو لخذلانهم الباطل أو نحو ذلك من المصالح العامة، فلا إشكال في جوازه، كما فعل ﷺ مع كثير من رؤساء المشركين، حتى بلغ من تعظيمه إياهم أن أفرشهم ردائه، والذين أفرشهم ردائه خمسة أنفار: أبرهة الأصغر بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح القيل[1]، وهو الذي قال فيه ﷺ : (إذا جاءكم كريم قوم، فأكرموه)، والأبيض بن جمال السبائي بن مرثد، وهو الذي أقطعه ﷺ الماء العِد[2]، ولا ملح لأهل اليمن غيره، فاستقاله فأقاله[3]، والحارث بن

---

(١) القيل : هو المترشح للملك في لغة حمير.

(٢) لم يقطعه النبي ﷺ الماء، إنما أقطعه ملح مارب، والعد معناه الماء الكثيرة، فشبه معدن الملح بعين الماء، لجامع تجدد المادة.

(٣) لما قال الأقرع بن حابس للنبي ﷺ أنه لا يوجد لأهل اليمن غيره، طلب النبي ﷺ من الأبيض أن يقيله الإقطاع، فأقاله، =

عبد كلال الأصغر، وحجر بن وائل الحضرمي [1] من ولد شبيب من حضرموت بن سبأ الأصغر، وهو الذي قال له معاوية [2] أن يعيره حذائه فقال له: لست ممن يلبس أحذية الملوك، فقال: فأردفني خلفك على الناقة، فقال: ولا أنت من أرداف الملوك، ولكن استظل في ظل ناقتي وكفى لك شرفاً.

قال نشوان بن سعيد الحميري مفتخراً: (وكلهم

ولم يستقل النبي ﷺ من بلال بن الحارث ما اقتطعه من المعادن القبلية؛ لظهوره أنها ليست مما تعم حاجة الناس إليها كالملح، والماء.

(١) هكذا في أكثر النسخ، والصواب وائل بن حجر، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ بعث معاوية ليقطع له أرضاً بحضرموت، فسار يوماً وهو راكب ومعاوية يمشي، فقال له معاوية: أردفني خلفك، قال: لست من أرداف الملوك، قال: فأعرني نعليك، قال: لست ممن يلبس أحذية الملوك، ولكن سر في ظل ناقتي، وكفى بذلك فخراً، أو كما قال، ويروى أنه دخل على معاوية بعد أن صار الأمر إليه، فذكره ذلك، فقال: وددت أني كنت أردفتك يومئذ.

(٢) في (ب) : لعنه الله.

من حمير)[1]، وأقعد ً عدي بن حاتم على مخدته قبل أن يسلم وقال فيه: ((وإذا جاءكم كريم قوم فأكرموه))، وهل يختص هذا النوع من التأليف بالإمام كالتأليف بالعطاء؟ الأقرب أنه لا يختص إن حصلت علة حسنة، وعليه يحمل قوله ً: ((إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه)).

[تحريم تعظيم الكافر والفاسق لمصلحة خاصة]

فرع: فأما تعظيمه لمصلحة خاصة بالمعظم من تحصيل منفعة دنيوية، أو دفع مضرة في نفس أو مال، فالأقرب أن الشرع لم يبحه لذلك إذ عتاب الله تعالى للمؤمنين في قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ} [الممتحنة:١]،

---

(١) ذكر نشوان بن سعيد الحميري هؤلاء الأربعة في قصيدته الرائية الطويلة، انظر شرحها بتحقيق الجرافي والمؤيد ص١٩٨، وفي الإكليل:٢/١٣٠، وشمس العلوم:٩/٥٧١٥.

وسبب نـزولها وعموم لفظ أولها لكل عدو لله يقتضي تحريم ذلك، إذ نـزلت معاتبة على مداهنتهم رجاء منفعتهم، ولفظها عام لكل موادة، فلا يقصر على سببها، وقد نبهنا الله سبحانه على ذلك في قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ}[التوبة:٢٤]. إلى قوله تعالى: {وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}[التوبة:٢٤]، فنبه سبحانه على أن خوف المضرة من منابذة الظالمين في النفس أو المال، ومفارقة الأحباب ليس وجهاً مرخصاً في ترك جهادهم حيث وجب، وإذا لم يكن كذلك لم يكن رجاء نفعهم وخوف مضرتهم سبب ترخيص في جواز تعظيمهم، سيما وقد قرب من التصريح بذم من فعل ذلك، حيث قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ

{تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا}[النساء:٩٧]، وكفى بظاهر قوله ً: ((القوا الفساق بوجوه مكفهرة))[١]، وقوله ً: ((من مشى إلى ظالم وهو يعلم أنه ظالم، فقد برئ من الإسلام))، فلا يخرج من هذا العموم إلا ما خصته دلالة واضحة شرعية، ولم يخصص هذا الوجه بالجواز دلالة، ولا يمكن قياس المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، مع أن الآيات التي قدمنا في حكم المصرحة في الفرق بين المصلحتين، [والخبر روي عن ابن عباس عنه ً أنه قال: ((إن أناساً من أمتي يقرأون القرآن، ويتفقهون في الدين، يأتيهم الشيطان فيقول: لو أتيتم الملوك فأصبتم من دنياهم واعتزلتموهم في دينكم))] [٢] والخبر الذي رواه [الفقيه العالم علي بن محمد القرشي الصنعاني] [٣] في

---

(١) تقدم الكلام عنه وعن الحديث الذي بعده.

(٢) ما بين المعكوفين [ ] زيادة من النسخة (ب).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من تلقيح الأفهام للجلال:٣٦٤.

الشمس [1] في ذم العلماء المواصلين للأمراء حيث قال: (فأصبتم من دنياهم، واعتزلتموهم في دينكم) [2] مصرح بتحريم ذلك بلا إشكال، فأما ما اشتهر من مواصلة الحسن بن علي عليه السلام لمعاوية [3] وزين العابدين رضي الله عنه لعبد الملك بن مروان، فمن بحث السير والآثار، علم يقيناً أنهم لم يصلوا إليهم وصول تعظيم، في مجرد قصد زيارة أو تهنئة أو وداع، وإنما وصلوا في الروايات المذكورة إما مطلوبين إلى حضرتهم، أو لطلب

---

(١) يعني كتاب شمس الأخبار، للعلامة المحدث علي بن محمد القرشي الصنعاني رحمه الله.

(٢) قوله: (فأصبتم من دنياهم...) إلخ، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: (إن ناساً من أمتي سيتفقهون في الدين، ويقرأون، ويقولون: نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم، ونعتزلهم بديننا، ولا يكون ذلك، كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك، كذلك لا يجتنى من قولهم إلا) قال ابن الصباح: كأنه يعني الخطايا، رواه ابن ماجة، ورواته ثقات.

(٣) في (ب): لعنه الله تعالى.

حاجة عامة، فإذا عرض خطاب، أو فعل ظهر منهم الاستخفاف الكلي بهم بالقول، أو بالفعل، ومنه القصة المشهورة [1] للحسن بن علي مع معاوية[1]

---

(١) حُكِيَ في كتاب جواهر الأخبار وغيره أنه اجتمع يوماً عند معاوية، عمرو بن العاص وعتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة والمغيرة بن شعبة فقال عمرو: يا معاوية إن الحسن بن علي قد أحي أباه، وقد قال فصدق، وأمر فأطيع، وخففت خلفه النعال، وهذا رافعه إلى ما هو أرفع منه، فلو أرسلت إليه فأخذنا لك منه، فقال معاوية ما رأيته قط إلا كرهت عتابه، وخفت جوابه، ولئن أرسلتم إليه لأنصفنه منكم فأرسلوا إليه، فلما دخل على معاوية سلم عليه، فرحب به معاوية، ثم قال: إني لم أرسل إليك، وإنما هؤلاء غلبوني على أمري، فأرسلوا إليك، فلا يمنعك مكاني أن تجيبهم بما رأيت، فقال الحسن: سبحان الله المنزل منزلك، والأمر أمرك، والله إن كانوا غلبوك على ما أردت، إني لأستحي لك من الضعف، وإن كنت أجبتهم إلى ما أرادوه إني لأستحي لك من الفحش، فبأيتهما تقر، ومن أيتهما تفر، ولو علمت أن هذا يراد بي لجئت ومعي من بني هاشم عدتهم ليكفوهم، فتكلم عمرو بن العاص، ثم عتبة بن أبي سفيان، ثم الوليد بن عقبة، ثم المغيرة بن شعبة، وكلهم نال من الحسن، ومن علي، فلما سكتوا تكلم الحسن عليه السلام، فقال: يا معاوية: =

وأخيه عتبة، وعمرو بن العاص، وما سجل عليهم في ذلك المجلس كل واحد وحده، ومنه ما روى أنه دخل على معاوية في بعض الحوائج، فانقطع معاوية في مشورة بعض أصحابه في جانب المجلس ساعة، فكتب الحسن بن علي في دواة معاوية هذين البيتين:

ما شتمني غيرك، ولا أبدأ إلا بك، ولا أقول فيك إلا دون ما هو فيك، ثم ذكر بعض مثالبه، ثم أجاب على كل واحد منهم، وذكر بعض مساويهم، فقال لهم معاوية: ذوقوا ذوقوا، فقال له الوليد: والله ما ذقنا شيئاً إلا وقد ذقت ما هو أشد منه)، هذا حاصل القصة إجمالاً، وتركت حكاية كلامهم اختصاراً، قال العلامة الجلال في تلقيح الأفهام٣٦٧: (فلما وصل الحسن أقبلوا عليه إقبال الكلاب على الأسد، وأظهروا ما في نفوسهم من البغي والحسد، فأقبل على كل واحد منهم يذكره هَنَاته وهَنَات أهله، ويُعرّفه مقدار خساسته وجهله، حتى ألقم كل واحد منهم الحجر، ولم يقم أحد منهم حتى أقماه الخجل والضجر، حين أظهر لكل واحد ما لا يطيق جَحده).

(١) في (ب) : زيادة : لعنه الله مع الإثنين اللذين بعده.

لنا الفضل يا هذا عَلَيك إليك وجوها لم تَشِنْهَا ببذلنا المطالبُ

وإنَّ الذي يعطيك من حر لأفضلُ مما أنت معطٍ وجهه وواهبُ

وكفى بما حكاه ابن عبد ربه في عقده [1] والمسعودي في مروجه:[2] أن معاوية بعد عقد

---

(١) العقد الفريد، لابن عبدربه الأندلسي.

(٢) قد اختلفت الروايات في صورة كلام الحسن عليه السلام يومئذ، والذي ذكره المسعودي في المروج أن الحسن عليه السلام لما صالح معاوية لما ناله من أهل الكوفة، وأنـزل به، أشار عمرو بن العاص على معاوية، وذلك بالكوفة، أن يأمر الحسن أن يقوم فيخطب الناس، فكره ذلك معاوية، فقال عمرو: أريد أن يبدو عيه في الناس، فإنه يتكلم في أمور لا يدري ما هي، ولم يزل به حتى أطاعه، فخرج معاوية فخطب الناس، وأمر رجلاً فنادى: حسن بن علي، فقام إليه، فقال: قم يا حسن فكلم الناس، فقام وتشهد، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر أمدا، والدنيا دول، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: {**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ**}[الأنبياء:١٠٩]،{ **إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ** =

الصلح قال للحسن عليه السلام: قم فاعلم الناس أنك قد سلمت إلي هذا الأمر، فقام وخطب وشكا من أهل العراق، وكان مما قاله: إنما الخليفة من عمل بكتاب الله وسنة نبيه، وأما صاحبكم هذا فإنما هو رجل ملك ملكاً يتمتع به قليلاً، ويعذب بسببه طويلاً: {**وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**} [الأنبياء:١١١]، أو كما قال، وكذلك قل ما نقل من مواصلة العلماء الراشدين لبعض الظلمة، فإنما كان لطلب حاجة أو إجابة طالب، لا لمجرد تعظيم بتسليم، أو تهنئة، أو وداع، نعم ربما نقل عمن مال قلبه إلى الدنيا، واتبع هواه من العلماء مواصلتهم تعظيماً، فقال فيه زين العابدين:[1] (أكل من حلواهم فمال في هواهم)، فلا

مَا تَكْتُمُونَ، وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[الأنبياء:١١٠-١١١]، مروج الذهب للمسعودي:١٨١/٣.

(١) أي قال في محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وقد ألّف السيد =

يحتج بفعل مثلهم إلا ضال عن الطريق.

[جواز الوصول إلى الظلمة لنصحهم]

فرع: فأما إتيانهم لمجرد وعظ، أو تذكير، أو أمر بمعروف، فلا إشكال في جوازه، كما أتى ً أبا جهل إلى بيته، ليأمره بإيفاء غريمه، وذلك مشروط بأن يعلم مقصده، حتى لا يتوهم قصد تعظيم لهم بذلك، لأنه يكون حينئذ مصلحة تعارضه مفسدة مساوية، أو راجحة.

فرع: فأما لو كان الظالم هو الذي وصل إلى الفاضل تعظيماً له فلا بأس بالقيام في وجهه ولقائه مكافئة له على إحسانه، وهو في تلك الحال ليس بمعظم على حد تعظيم الفضلاء، بل هو المعظم

العلامة بدر الدين الحوثي رسالة هامة في الزهري وسيرته، طبعت ضمن مجلة علوم الحديث الصادرة من كلية الحديث بإيران.

للفاضل بوصوله، ولأن فيه مصلحة دينية لا تعارضها مفسدة راجحة، أو مساوية، وتلك المصلحة هي استدعاؤه بذلك إلى تعظيم الفضلاء، وليس له مكافأته بأن يصله إلى منـزله تعظيماً، لا لحاجة سوى التعظيم، لأنه في تلك الحال يكون هو المعظم بالوصول إليه خالصاً، وقد نهينا عن تعظيمهم، إلا لمصلحة عامة كما قدمنا وقد كره المؤيد بالله [1] أكل طعامهم، وقبول عطاياهم لما

---

(١) الإمام المؤيد بالله أبو الحسين أحمد بن الحسين بن هارون الحسني ولد بآمل طبرستان سنـة (٣٣٣)هـ ونشأ في حجر أسرة علوية كريمة تقية، برع في كل العلوم، وحقق منطوقها والمفهوم، وعرف بعالم الحديث، وناقده دراية ورواية، وله الكثير من المؤلفات، كل واحد منها شاهد على رسوخه في العلم، ومنها: كتاب(النبوات) طبع بعنوان إثبات نبوة محمد ً، كتاب (التجريد) في فقه الإمامين الأعظمين الإمام القاسم بن إبراهيم وحفيده يحيى بن الحسين عليهما السلام، وكتاب (شرح التجريد)، وكتاب (البلغة) في الفقه، وكتاب (الإفادة) في التاريخ، وكتاب (الزيادات)، وكتاب (إعجاز القرآن)، =

يورث من محبتهم، وهي محرمة، [قلت]:[1] (فإن أحسنوا إلى المؤمن لم يجب عليه شكرهم أكثر من الاعتراف بأنهم أنعموا، واليسير من التعظيم الذي لا يظهر فيه جلالة، كالقيام في وجه من وصل بنفسه معظماً لأهل الفضل، فهذا القيام لا أثر له في جنب وصوله بنفسه إلى الفاضل، بخلاف وصول الفاضل إلى منازلهم لقصد وجه تعظيم من تهنئة أو غيرها، فجلالتهم في ذلك ظاهرة، إذ لو جوزنا ذلك لم يفترق الحال بينهم، وبين أئمة الهدى فيما

وغيرها الكثير، وقد تتلمذ على يديه كثير من الأئمة العلماء منهم الإمام الموفق بالله والد الإمام المرشد بالله، والإمام مانكديم (وجه القمر) أحمد بن أبي هاشم وهو الذي قام بأمر الإمامة -أي وجه القمر- بعده بلنجا سنة (٤١٧)هـ، والفقيه الهوسمي وغيرهم، وقد قام بهذه الجهود الفكرية والعلمية مع انشغاله بأمور المسلمين وقيامه بالإمامة وكانت وفاته عليه سلام الله ورحمته سنة (٤١١)هـ.

(١) العبارة في المطبوع: (قال مولانا)، ولعلها من صنع تلامذته، فأبدلته بقلت؛ ليتناسق الكلام.

يستحقون من التعظيم، فأما إطعامهم وإنـزالهم فليس بتعظيم، بل تفضل وإحسان، كالإحسان إلى الذميين، وإلى الزوجة، والخادم الفاسقين.

[حكم تعظيم الظلمة]

فـرع: فمن لا يمكنه المقام في جهتهم إلا بتعظيمهم ومواصلتهم، لزمته الهجرة، إذ من لم تمكنه الإقامة في جهة إلا بفعل قبيح لزمته الهجرة بلا خلاف، كما تقدم بدليل: {**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ**} [النساء:٩٧]، الآية.

[بدع المداهنة]

فـرع: ومن بدع المداهنة عندي التعبد لغير الله تعالى، في المحاورة، والمكاتبة، وما قد أطبق عليه أكثر الناس من المكاتبة، بأقل العبيد، وأصغر المماليك على مراتبه المعروفة، فإنه حادث مبتدع

ابتدعه من خالط المسلمين إلى بلاد العجم، ورأى ما تعامل به ملوكها من ذلك، وهو بقية من عبادتهم إياهم، وكان حدوثه في الدولة الأموية وقت الوليد الخليع[1]، فإنه نهى أن يخاطب أو يكاتب بمثل ما يخاطب به الناس، وضرب رجلاً بسبب ذلك حتى مات، ولم يكن منه شيء [في] عهده ً، ولا عهد الخلفاء الراشدين بعده ً، بل كان صدر مكاتباتهم بعد التسمية: من فلان بن فلان إلى فلان بن فلان، سلام عليك، وإني أحمد الله إليك، وأعرفك بكذا، ولم يزل كذلك حتى حدثت هذه البدعة، وقد قدمنا في كتاب الملل ما رواه سليمان بن أرقم، حيث قال:

---

(١) هو الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان، قام بالأمر بعد أبيه، وكان خليعاً زنديقاً متهتكاً، فخرج عليه ابن عمه يزيد بن الوليد الملقب الناقص، لأنه نقص من أرزاق الجند، وخرج معه الناس عليه فقتله، فقام بالأمر بعده، وسار في الناس سيرة حسنة حول ستة أشهر ثم مات.

شهدت الحسن - يعني البصري-[1] إذ جاءه كتاب عمر بن عبد العزيز : (أما بعد: فإنه بلغني أنك تقول في القدر قولاً، فاكتب إليَّ برأيك فيه) فقال لعبد الله ابنه: اكتب: من الحسن بن أبي الحسن إلى عمر بن عبد العزيز، فقال له ابنه تبدأ باسمك قبل اسمه فقال: إنه من السنة، كذلك كانت السنة على عهد رسول الله ﷺ، وأبي بكر وعمر)، ودليل كون هذا البدعة مكروهة إن لم تكن قبيحة محرمة قوله ﷺ: ((من ملك عبداً أو أمة فلا يقل عبدي ولا أمتي، وليقل فتاي أو فتاتي، فإن العباد عباد الله والإماء إماؤه))[2] أو كما قال: والنهي يقتضي القبيح إلا

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) المشهور في الحديث ما روي عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: (لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي، ولا يقولن المملوك ربي ولا ربتي) وليقل المالك فتاي وفتاتي، وليقل المملوك سيدي وسيدتي، فإنكم المملوكون، والرب الله عز وجل) أخرجه البخاري في كتاب العتق: (٢٥٥٢)، فتح =

لقرينة، وإذا نهي عن ذلك وهو في حق المملوك، فالحر أولى، فإذا قبح أن يقول للمملوك: أنت عبدي، قبح أن يقول للحر: أنا عبدك، أو أقل عبيدك، وهو وإن كان مجازاً واستعمال المجاز جائز، فقد ورد النهي عن إطلاق لفظ التعبد لغير الله، فوجب امتثاله، وأكثر ما سمي العبد في القرآن فتى، قال الله تعالى: ﴿مِنْ فَتَيَاتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ﴾[النساء:٢٥]، فسمى الإماء فتيات، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾[يوسف:٦٢]، وقوله: ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾[يوسف:٣٠]، ونحوها، وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾[النور:٣٢]، فهو لا يكفي جواز اطلاق هذا اللفظ منا بعد ورود النهي عنه، لأنه يجوز من الله سبحانه ما لا يجوز منا، ألا ترى أنه يجوز من الله تعالى أن يقسم بالمخلوقات من

الباري:٥/١٧٧-١٨٠، وأبو داود في كتاب الأدب: (٤٩٧٥)، واللفظ له.

السماء والطارق وغيرهما، ولا يحسن منا للنهي، فكذلك هذا لا يقال: قد أجمع المسلمون على جواز استعماله ولم يمنعه أحد، لأنا نقول إجماع أهل العصر ممنوع، فإنه بلغنا أن بعض الفضلاء كان يترك المكاتبة تحرجاً مما استعمله الناس من هذه البدعة، ولو يمكنه المكاتبة بغيرها لئلا ينسب إلى التكبر، ثم إنه لم ينقل الإجماع تواتراً ولا آحاداً، وإنما ذلك قياس للغائبين على الحاضرين من دون طريقة ناظمة.

[حكم الدعاء للولاة والملوك]

فرع: ومن البدع المحدثة، الدعاء لأهل الدول بتخليد الملك في محاورة أو مكاتبة، فإن كان ظالما فقبيح محرم، لقوله ً: (من دعا لظالم بالبقاء، فقد أحب أن يعصى الله في أرضه)[1] ، وهذا نص

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف، والغزالي في إحياء علوم =

صريح أيضاً، وأما إذا كان محقا فمكروه أيضاً عندي، لتضمنه ما قد أخبر الله تعالى أنه لا يفعله حيث قال تعالى:{وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ}[الأنبياء:٣٤]، فهو بمنـزلة الدعاء بأن لا تقام قيامة، ولا تجعل دار غير هذه الدار، فأما كونه قاصداً طول البقاء، فذلك لا يفيده لفظ الخلد، إلا مع قرينه، لأنه موضوع للدوام الذي لا انقطاع له، ألا ترى إلى قوله تعالى حاكيا عن إبليس:(١) {مَانَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} [الأعراف:٢٠]، وقال:{هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى}[طه:١٢٠]، فلفظ الخلد إذ أطلق أفاد ما ذكرنا، فقبح الدعاء للفاني به من غير قرينة لفظية، وإن كان قد تسامح بذلك بعض أئمتنا المتأخرين.

الدين، وأورده البيهقي من قول الحسن البصري.

(١) في (ب): زيادة لعنه الله.

فرع: وأما الدعاء بطول البقاء فيجوز للمحق لا للمبطل.

[استعمال ألقاب التعظيم]

فرع: فأما استعمال شمس الدين وعماد الدين ونحوهما فمبتدع أيضاً، لكن لا بأس به لجرية مجرى اللقب الذي يتضمن تشريفاً كالتسمية بصالح وبالفضل والأسد ونحو ذلك، ولم يرد نهي عن مثل ذلك، فأما استعمال لفظ سيدي ومولاي للصاحب الذي ظاهره الصلاح فلا حرج أيضاً لظهور استعماله في الصدر الأول لرسول الله ﷺ، ولغيره، فأما استعمال المقام والمقر والجناب والمجلس وغيرها فمجازات لم يرد دليل على قبحها، وإن كانت السنة التأسي بالسلف الصالح، وقد ذكرنا كيفية مكاتباتهم، وأما استعمال الأفضل والأكمل وغيرهما، فلا يحسن لمن ليس على تلك الصفات،

إذ هو كذب.

فصل:[حب الدنيا]

وقوله ﷺ: ((حب الدنيا رأس كل خطيئة))[1] يوجب على كل مكلف معرفة تفسير الدنيا هاهنا ليجتنب حبها، وإلا لم يأمن الخطأ فنقول: لا خلاف أن محبة جمع المال الحلال لتحصيل الكفاية ليس خطأ، فليس من حب الدنيا، وكذلك محبة حفظ المال من دار، وعقار، وذهب وفضة ونحوها، وعماراتها، والاحتراز عليها من الضياع ليس بخطأ، فليس من

---

(١) رواه البيهقي في الشعب عن الحسن مرسلاً تمامه: (وحبك للشيء يعمي ويصم) ذكره رزين بن معاوية من رواية أنس، وذكر أيضاً عن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته: (الخمر جماع الإثم، والنساء حبائل الشيطان، وحب الدنيا رأس كل خطيئة).

حب الدنيا، وكذلك محبة التلذذ بالمباحات من الطعام والملابس والمراكب والمناكح والبنيان المباحات ليس بخطأ، لقوله تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [الأعراف:٣٢]، فليس من حب الدنيا.

[حب الدنيا المنهي عنه]

فرع: فنلخص مما ذكرنا أن الدنيا التي نُهينا عن حبها هي الشرف والمال، المطلوبان للمباهاة والتكاثر والعلو على من عدمهما، لا للكفاية، أو لمصلحة دينية، أو تجمل بين الناس، وقد نبّه الله سبحانه وتعالى على هذا المعنى بقوله: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا} [القصص:٨٣] وقوله ﷺ: ((ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم بأضر من حب الشرف، والمال على المسلم في

دينه»[1]، أو كما قال، فالآية الكريمة والخبر مصرحين بأن المراد بحب الدنيا الذي نهينا عنه هو حب الشرف والمال طلبا للعلو كما قدمنا، فأما لتطلب التجمل في الناس، فلا بأس في ذلك، ومعنى التجمل حصول جمال يحصن من حصل له من أن يستخف به أو يحط من مرتبته التي يستحقها لظاهر حاله، فحينئذ يخف التكليف في ذلك على من له أدنى مسكة في الدين، والحمد لله رب العالمين، فإنه لا يطلب الشرف والمال لذلك إلا المتجبرون المتمردون على الله تعالى، لا المؤمنون الخاشعون وبالله العصمة ومنه التوفيق.

---

(١) لفظه عن كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم، بأفسد لها من حرص المرء على المال، والشرف لدينه) أخرجه الترمذي في باب الزهد: (٢٤٨٢).

فصل:[الجـــــبن]

والجبن: هو البخل بالنفس ولا إشكال في تحريمه، حيث يجب بذلها في طلب العدو ومدافعته، لقوله تعالى:{ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ...}..الآية [الأنفال:٦]، وقال تعالى:{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ} [البقرة:٢١٦].

وأما قوله ً: ((الجبن والجرأة غريزتان يضعهما الله حيث يشاء)) (١) والغرائز لا يتعلق بها تحريم ولا تحليل، فإنا نقول: المعلوم من لغة العرب تسمية الإقدام على العدو شجاعة وجرأة، والفرار منه جبناً، وتعلق المدح والذم بهما، فبطل كونهما

---

(١) الصحيح أن هذا من كلام عمر، ولفظه عن مالك قال: (بلغني أن عمر كان يقول: كرم المؤمن تقواه، ودينه حسبه، ومروءته خلقه، والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء، فالجبان يفر عن أبيه وأمه، والجريء يقاتل عمن لا يؤب إلى رحله، والقتل حتف من الحتوف، والشهيد من احتسب نفسه على الله تعالى) أخرجه مالك في الموطأ، ولم يرفعه، انظر كتاب الجهاد:٤٦٣/٢.

غريزة، فوجب حمل الخبر على أن المراد سببي الجبن والجرأة غريزتان باعثتان عليهما، فسمي السبب بتسمية سببه تجوزاً، كنسبة الدية عقلاً، فكأنه قال ً: ((الباعث على الجبن والجرأة غريزتان))، فلما كثر استغنى بالمسبب فقيل الجبن والجرأة غريزتان، والمعنى أن من الناس من يبني الله قلبه بنية تقبل الشجاعة، وتبعث عليها أو الجبن وتبعث عليه، وفي تحقيق تلك البنية أبحاث يطول شرحها، وهذا القدر يكفي فيما قصدناه.

[البخل]

والبخل عبارة عن شدة حب المال الحاملة على منعه حيث وجب بذله.

والبخل في التحقيق هو منعه، وسبب المنع شدة حبه كما قلنا في الجبن، وقد ذم الله الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل فاقتضى قبحه، وقال

تعالى:{وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ}[محمد:٣٨]، وهو منعه عما يجب صرفه فيه من تحصيل نفع أو دفع ضرر أو ذم، والتقتير: هو أن ينفق منه دون الكفايه مع سعته للكفاية، وقد ذمه الله تعالى:{لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا} [الفرقان:٦٧].

[السرف والتقتير]

والسرف والتقتير في اللغة: صرف المال فيما لا يجلب نفعاً، ولا ثناءً، ولا يدفع ضرراً عن نفس أو مال أو عرض، وقد قال تعالى:{لَمْ يُسْرِفُوا}، وقال أيضاً:{وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ}[الإسراء:٢٦-٢٧]، وقد حرم الشرع صرفه لمجرد الثناء، قال تعالى:{كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ}[البقرة:٢٦٤]، فهو في الشرع إضاعة المال أو صرفه في وجه قبيح.

[مفهوم الزهد]

والزهد في الشرع ترك المباحات التي يخشى أن يحمله التولع بها على الدخول في الشبهات محافظة عليها، وقد وردت الآثار بندبه، كقوله ً: «ألا وإن الزاهد في الدنيا أراح قلبه وبدنه في الدنيا والآخرة»[1] نعم، ولا زهد في ثلاث: المرأة الحسناء وإن غالى في مهرها، لما في ذلك من تكميل الدين مهما ما لم تكن من المنعمات اللاتي لا يقنعن بدون اللذات في المطعم والملبس، ولا في استعذاب الماء، إذ قد كان يستعذب النبي ًمن الأمكنة النازحة، ووجهه أنه لا يحتاج في ذلك إلى كسب الأموال بدليل قوله تعالى: {وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ} [الحجر:٢٢]، ولا في اختيار المسكن السليم عن الوباء الجامع للمرافق، إذ لا

---

(١) وهو في الأربعين السيلقية رواه ابن بلال في مكارم الأخلاق بلفظ: (الزهد في الدنيا يريح القلب، والبدن، والرغبة في الدنيا تتعب القلب والبدن)، لم أقف على أصله، لكن له شواهد، وهو من أحاديث الترغيب والترهيب.

يحتاج في ذلك إلى غرامة، لأن الأرض لله تعالى، إلا حيث يكون دينه في غير ذلك المسكن أكمل، فإن تركه حينئذ يكون زهداً.

فصل: [الفرح]

والفرح: هو السرور الذي يصدر منه أفعال طرب، فإن كان محظور فمحرم، لقوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ}[القصص:٧٦] وقوله تعالى: {ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}[غافر:٧٥].

فرع: فأما الذي يقترن به مباح من لعب بالخيل، ونحوه من المباحات فإن كان فرحاً بمحظور فقبح للآية، فلا يجوز النظر إلى ذلك اللعب حينئذ لحظره، و(لا يحل لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تنتقل[1] ، وإن كان فرحاً بمباح أو مندوب أو نعمة حصلت، فالأقرب أنه لا حرج فيه

---

(١) رواه الإمام الهادي عليه السلام في الأحكام.

لما ورد في التدفيف في العرسات والأعياد، وقد قال تعالى: {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَنْ يَشَاءُ} [الروم:٤-٥] وما روي عن جماعة من الصحابة [١] أن رجلاً منهم حجل حين حصلت له مسرة ببشرى وهو نوع لعب عند فرح.

فصل: [الجزع]

والجزع: هو الغم الذي يقترن به فعل: من خمش وجه، أو شق جيب، أو كسر سلاح، أو عقر بهيمة، أو شكوى بصوت، وقد ورد النهي عن الجزع في آثار كثيرة كقوله ً:((صوتان فاجران ملعونان في

---

(١) روي في حديث تنازع علي وجعفر وزيد بن حارثة في ابنة حمزة أيهم يكفلها، أنه لما قال النبي ً لعلي عليه السلام: (أنت مني، وأنا منك، حجل، ولما قال لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي حجل، ولما قال لزيد: أنت أخونا ومولانا حجل)، وأصل الحديث في الصحيحين وغيرهما، من دون ذكر الحجلان.

الدنيا والآخرة»[1] ، ولا إشكال في تحريمه، حيث كان على مصيبة دنيوية حادثة من جهة الله تعالى، وكذلك ما كان من جهة غيره، وأما الجزع لمصيبة في الدين نحو أن يجزع لمعصية فعلها ندماً، فالأقرب أنه غير منكر، إذ لم ينكر ً على من أتاه يحثو التراب على رأسه لمَّا واقع أهله في رمضان.

فصل: [الإخـــلاص]

قوله ً: «الناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم» [2] يوجب على سامعه إمعان النظر في

---

(١) لفظه عن أنس قال: قال رسول الله ً: (صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة، مزمار عند نعمة، ورنة عند مصيبة) رواه البزار.

(٢) قيل: إنه من كلام سهل بن عبدالله التستري أحد أئمة الصوفية (ت:٢٨٣)، وليس بحديث، وقال العلامة ابن =

معرفة مواقع الخطر المخوف بعد حصول العلم والعمل والإخلاص لله تعالى فيهما، والأقرب أن المخوف على المكلف بعد حصول ذلك منه، إنما هو حصول ما يحبطه من المعاصي، وإنه لا تكليف عليه بعد استكماله الثلاثة: العلم، والعمل، والإخلاص، إلا في حفظه مما يحبطها من المآثم الباطنة التي يجوز ذهول الخاطر عن عظم خطرها فيتسامح فيها، وقد قال الله تعالى:{أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ } [الحجرات:٢] وقوله ً: ((إياكم ومحقرات الذنوب، فإن لها عند الله طالباً))(١)، وكذلك التحفظ

بهران:لم أقف على أصل لهذا الخبر في كتب الحديث المعتبرة، على أنه مستقيم المعنى، والله أعلم، وفي كتاب إحياء علوم الدين للغزالي ما لفظه: (وليت من اجتهد تعلم، وليت من صام وصلى غفر له، فالناس كلهم محرومون إلا العالمون، والعالمون كلهم محرومون إلا العاملون، والعاملون كلهم محرومون إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم).

(١) لفظه عن عائشة: (أن رسول الله ً قال لها: (ياعائشة) إياك ومحقرات الذنوب: فإن لها من الله طالباً) رواه النسائي، =

من أمر يدق وجه قبحه فيراه العبد حسناً، وهو في علم الله قبيح فيؤتى من إخلاله بالنظر الصحيح فيه، وقد ورد عنه ً التحذير من الذنب الذي لا تمحوه التوبة، فقال ما معناه: (إنه الذنب الذي يعتقده العبد من الإحسان، وهو عند الله تعالى من العصيان)، فلا خطر يخشاه العالم العامل المخلص، إلا أحد هذين الوجهين، وقد نبه ً على ذلك بقوله: «حراسة العمل أشد من العمل»[1] وقوله ً: «لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار، وتوفيتم ما

واللفظ له، وابن ماجة، ولابن حبان نحوه، وله شواهد.

(١) لفظه عن أبي الدرداء عن رسول الله ً أنه قال: (إن الإبقاء على العمل أشد من العمل، وإن الرجل ليعمل العمل فيكتب له عمل صالح معمول به في السر، يضعف أجره سبعون ضعفاً، ولا يزال الشيطان به حتى يذكره للناس، ويعلنه فيكتب له علانية، ويمحى تضعيف أجره كله، ثم لا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس، ويحب أن يذكر به ويحمد عليه، فيمحى من العلانية ويكتب رياء، فاتقى الله امرء صان دينه، وإن الرياء شرك)، رواه البيهقي، وقال المنذري: أظنه موقوفاً.

بين الركن والمقام، ما نفعكم ذلك إلا بالورع، ألا وإن الدين الورع، ألا وإن الدين الورع، ألا وإن الدين الورع»[1].

[الخوف]

فرع: وقائد [2] الورع استشعار الخوف، وقائد [3] الخوف عدم الغفلة عن قصر المدة، وقرب الرحلة، وتجديد ذكر الموت، وقد نبه ً على ذلك بقوله ً: «اكثروا ذكر هاذم اللذات»[4] الخبر، وقوله ً: «كفى

---

(١) المشهور: (مِلاك الدين الورع) أخرجه ابن عبد البر في النهاية:١٧٤/٥، وقال العلامة ابن بهران: الروايات فيه مختلفة بزيادة ونقصان، والصحيح أنه من كلام عمر كما ذكره الجلال في تلقيح الأفهام:١٤١٩.

(٢) في (ب) : وقائده.

(٣) في (ب) : وقائده.

(٤) رواه ابن ماجة، والترمذي، وغيرهما، وعن أنس قال: (إن رسول الله ً مر بأناس وهم يضحكون، فقال: أكثروا من ذكر هاذم اللذات أحسبه قال: فإنه ما ذكره أحد في ضيق من =

بالموت واعظاً))[1] ، ولله در بعض الحكماء حيث

العيش إلا وسعه، ولا في سعة إلا ضيقه عليه) رواه البزار، وعن أبي سعيد قال: (دخل رسول الله ﷺ مصلاه، فرأى ناساً، كأنهم يكشرون، فقال: أما إنكم لو أكثرتم من ذكر هاذم اللذات، لشغلكم عما أرى، فأكثروا ذكر هاذم اللذات الموت)، هذا طرف من حديث رواه الترمذي وغيره، وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (أكثروا ذكر هاذم اللذات-يعني الموت- فإنه ما كان في كثير إلا قلله، ولا قليل إلا جزأه) رواه الطبراني (ح)، هاذم بالذال المعجمة، لا يجوز غيره أي قاطع على ما ذكره السهيلي، والأستوي، وابن النحوى، وقيل: بالمهملة، وقيل يجوز بهما، وقال مجد الدين الشيرازي: هو بالمهملة أشهر، وبالمعجمة أرجح، والصحيح الأول، والله أعلم.

(١) عن عمار: أن رسول الله ﷺ قال: (كفى بالموت واعظاً، وكفى باليقين غنى) رواه الطبراني، وعن ابن عمير قال: (أتيت النبي ﷺ عاشر عشرة، فقام رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله من أكيس الناس، وأحزم الناس؟ قال: أكثرهم ذكراً للموت، وأكثرهم استعداداً للموت، أولئك الأكياس، ذهبوا بشرف من الدنيا، وكرامة من الآخرة)، رواه ابن أبي الدنيا والطبراني وغيرهما، وعن سهل بن سعد قال: (مات رجل من أصحاب النبي ﷺ، فجعل أصحاب رسول الله ﷺ =

يقول: (لا تكن طاعتك لله تعالى بقدر حاجتك إليه، وجرأتك على المعاصي بقدر صبرك على النار)، أو كما قال، ولله در بعض الواعظين حيث يقول: يا مقهوراً بغلبة النفس صل عليها بطول العزيمة، فإنها إن عرفت جدك استأسرت لك، وامنعها لذيذ المباح لتصطلحا على ترك الحرام، الشيطان والدنيا

يثنون عليه ويذكرون من عبادته، ورسول الله ﷺ ساكت، فلما سكتوا قال رسول الله ﷺ: هل كان يكثر ذكر الموت، قالوا: لا، قال: فهل كان يدع كثيراً مما يشتهي؟ قالوا: لا، قال: ما بلغ صاحبكم كثيراً مما تذهبون إليه) رواه الطبراني، وعن أنس قال: ذكر عن النبي ﷺ رجل بعبادة واجتهاد فقال: (وكيف ذكر صاحبكم للموت؟ قالوا: ما نسمعه يذكره، قال: ليس صاحبكم هناك)، رواه البزار، والأحاديث في نحو ذلك كثيرة، وفيما ذكر كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، اللهم إنا نسألك أن تمدنا بمداد التوفيق والتسديد، وأن تميتنا على التوبة والتوحيد، وأن تجعلنا من الآمنين يوم الوعيد، وأن تصلي على سيدنا محمد وعلىآله محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

عدوان بائنان عنك، والنفس عدو مباطن ومن أدب القتال قوله تعالى:{قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ}[التوبة:١٢٣]، وكفى بقول الملك الجليل في محكم التنـزيل تأديباً وتهذيباً:{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}[النازعات:٤٠.٤١] ولنختتم كتابنا هذا بهذه الآية الكريمة تفاؤلاً، لعل الله سبحانه وتعالى بكرمه، ولطفه يجعل خاتمة أعمالنا التقوى، ومجانبة الأهواء، وعاقبة أمرنا سكون جنة المأوى(١)، فهو أكرم مسئول، وخير (٢) مأمول.

[والحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.. آمين..آمين](٣).

---

(١) في (ب) : زيادة: (بلطفه وكرمه).
(٢) في (ب) : وألطف.
(٣) ما بين المعكوفين: [ ] زيادة من (ب).

المراجـــع

١- القرآن الكريم.

٢- الأحكام في الحلال والحرام: للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، مكتبة التراث الإسلامي - ط.

٣- الأمالي الصغرى، للإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني، تحقيق عبدالسلام الوجيه، دار التراث الإسلامي صعدة، ط١ ١٩٩٣م.

٤- كتاب الذكر، للمحدث محمد بن منصور المرادي، تحقيق محمد يحيى سالم عزان، ط١٤١٧،١هـ ١٩٩٧م، مكتبة بدر صنعاء.

٥- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس الأصبحي، ط١، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف.

٦- تيسير المطالب في أمالي السيد أبي طالب، الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني، ط١،

منشورات دار الحياة.

٧- المستدرك على الصحيحين لابن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت.

٨- مسند الإمام زيد، للإمام زيد بن علي عليهما السلام، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٩- مجمع الزوائد، للهيثمي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣.

١٠-نهج البلاغة، للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ضبط دار صبحي الصالح، ط٢،١٩٨٢، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة.

١١-مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ط١٩٨٧م، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.

١٢- تفسير الحبري، الحسين بن مسلم الحبري، تحقيق محمد رضا الحسيني، ط١،١٤٠٨هـ، مؤسسة آل البيت، بيروت.

١٣-مكارم الأخلاق، الطبري، ط٢،١٩٩١م، دار البلاغة.

١٤-الإسلام عقيدة ونهج، دار الأضواء، ط ١٩٩٠م.

١٥-المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، محمد الغزالي، ط٣،١٩٩٢م، دار الصحوة.

١٦-خلق المسلم، محمد الغزالي، ط٦،١٩٨٦م، دار القلم.

١٧-تصفية القلوب، الإمام يحيى بن حمزة، تحقيق د. حسن الأهدل، ط٤،١٩٩٣م، مكتبة الجيل الجديد.

١٨-فن الذكر والدعاء، محمد الغزالي، ط٣،١٩٩٢م.

١٩-درر الأحاديث النبوية، للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم، جمعها عبدالله بن حمزة بن أبي النجم، تعليق، يحيى بن عبد الكريم الفضيل، ط٢،١٩٨٢م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٢٠-شمس الأخبار، علي بن حميد القرشي، مكتبة اليمن

الكبرى.

٢١-رضاء رب العباد، محمد بن مطهر الغشم، ط١٤٠١،٣هـ، مكتبة اليمن الكبرى.

٢٢-كتاب المسنونات والمندوبات والمستحبات من الصلوات، السيد قاسم أحمد المهدي، تحت الطبع.

٢٣-اصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النجلاوي، ط١٩٨٣،٢م، دار الفكر المعاصر بيروت-دار الفكر- دمشق.

٢٤-فتاوى معاصرة، يوسف القرضاوي، دار المعرفة.

٢٥-الاعتصام بحبل الله المتين، الإمام القاسم بن محمد، تعليق يحيى بن عبد الكريم، مطابع الجمعية العلمية الملكية عمان.

٢٦-كتاب المجموعة الفاخرة للإمام الهادي عليه السلام منشورات دارالحكمة اليمانية الطبعة الأولى.

٢٧-مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام (خ).

٢٨-الوافد على العالم للإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام الطبعة الأولـ منشورات مركز أهل البيت، تحقيق حمود الأهنومي.

٢٩-البحر الزخار للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى، تعليق الفضيل الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ.

٣٠-تلقيح الأفهام للجلال مطبوع ضمن (حياته وآثاره) بتحقيق العمري والجرافي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ منشورات دار الفكر.

٣١-أعلام المؤلفين الزيدية للأخ عبدالسلام عباس الوجيه الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ طبع بمؤسسة الإمام زيد بن علي عليه السلام الثقافية.

تم بحمد الله تعالى،،،

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
البقرة		
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ	١٨٣	6
فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي	١٩٧	6
كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ	٢١٦	110
كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ	٢٦٤	54;
يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا	٢٧٤	71
وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رجَالِكُمْ	٢٨٢	69
آل عمران		
وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا	١٨٨	57
النساء		
مِنْ فَتَيَاتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ	٢٥	105

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ	٣٢	67
وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْض	٣٢	67
وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ	٥٩	41
إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي	٩٧	94;
يُرَاءُونَ النَّاسَ	١٤٢	54
المائدة		
وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ	٥١	74
الأنعام		
وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ	١٢٠	37
وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ	١٥٣	9
الأعراف		
أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ	١٢	39
فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا	١٣	39

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
مَانَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ	٢٠	106
قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ	٣٢	65; 109
الأنفال		
وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ	٦	110
التوبة		
قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ	٢٤	93
وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا	٢٤	93
وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ	٢٥	51
قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ	٦١	72
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا	١٠٣	6
إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ	١١١	7
مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ	١١٣	78

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنْ الْكُفَّارِ	١٢٣	121
وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً	١٢٣	45; 75
يوسف		
تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ	٣٠	105
إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ	٥٥	61
وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ	٦٢	105
الحجر		
وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ	٢٢	114
النحل		
وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ	٦	65
لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً	٨	65
الإسراء		
وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً	٢٦-٢٧	112
الكهف		

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ	٢٨	43
وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا	٢٨	44
وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً	١١٠	54
طه		
هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى	١٢٠	107
الأنبياء		
وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ	٣٤	106
وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ	١١١	99
النور		
لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً	١٢	70
لَوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ	١٣	69
إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا	١٩	72

الآيــة	رقم الآية	الصفحة
وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ	٣٢	105
تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً	٦٣	41
القصص		
إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ	٧٦	114
تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ	٨٣	109
العنكبوت		
إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَر	٢٥	6
وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	٤٦	90
الروم		
وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ	٤-٥	115
غافر		
إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيه	٥٦	39
فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ	٧٦	40

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
الزخرف		
أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ	٥١	52
محمد		
وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ	٣٨	112
الفتح		
إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْحَمِيَّةَ	٢٦	86
الحجرات		
أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ	٢	117
إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا	٦	89
اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ	١٢	69
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ	١٣	63
النجم		
فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ	٣٢	47
المجادلة		

الآيــة	رقم الآية	الصفحة
لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الأْخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ	٢٢	73
الحشر		
وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا	١٠	68
الممتحنة		
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ	١	93
أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا	٨	89
لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ	٨	89
المنافقون		
وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ	٨	75
القلم		
وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ	٩	88
الإنسان		
إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ	٩	55

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
النازعات		
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى	٤٠-٤١	121
التكاثر		
أَلْهَاكُم التَّكَاثُرُ	١	59

فهرس الأحاديث

حرف الألف

أصحب من صحبت بالستر لعورته..... 73
ألا وإن الزاهد في الدنيا 113
القوا الفساق بوجوه مكفهرة 94
أنا أفصح من نطق بالضاد 60
أنا ابن الذبيحين 64
أنا النبي لا كذب..... 47
أنا سيد ولد آدم..... 46
أو عصبية لحمية أعملوها..... 86
إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه..... 93
إذا رأيتم أحدكم في خصلة تستنكرونها 70
إن أناساً من أمتي يقرأون القرآن 95
إن من البيان لسحراً 60
إن هذه لمشية يبغضها الله تعالى..... 43
إياكم ومحقرات الذنوب 117
اذكروا الفاسق بما فيه لكي يحذره الناس..... 73

اكثروا ذكر هاذم اللذات.....119

حرف الباء

بئس ابن أخي العشيرة هو..... 90
الباعث على الجبن والجرأة غريزتان.....111

حرف الجيم

الجبن والجرأة غريزتان يضعهما الله حيث يشاء.....111

حرف الحاء

حب الدنيا رأس كل خطيئة.....108
حراسة العمل أشد من العمل.....118

حرف الخاء

خير خصال النساء شر خصال الرجال 42

حرف الصاد

صوتان فاجران ملعونان في الدنيا والآخرة.....115

حرف الكاف

كفى بالموت واعظاً 119

حرف اللام

لا تقبلوا أقوال العلماء بعضهم على بعض..... 68

لا غيبة لفاسق 73
لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه 44; 62
لنومة في سبيل الله أفضل من عبادة ستين سنة في أهلك 8
لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد 40
لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا..... 118

حرف الميم

المؤمن إذا قال صدق..... 72
المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا..... 86
ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم..... 109
من أحب لله، وأبغض لله 75
من أراد أن يكرمني فليكرم أحبائي 41
من ترك العلم..... 41
من تضعضع لغني لأجل غناه 45
من جر إزاره بطراً..... 42
من سمع بعلمه سمع الله به 59
من طلب العلم ليصرف وجوه الناس إليه 59
من لاق لهم دواة أو برى لهم قلماً 78
من مشى إلى ظالم وهو يعلم أنه ظالم 75; 94

من ملك عبداً أو أمة فلا يقل عبدي ولا أمتي.....104
مهلاً يا أبا فلان فإن أولئك للملأ..... 87

حرف النون

الناس كأسنان المشط..... 63
الناس كلهم هلكى إلا العالمون 116

حرف الواو

وإذا جاءكم كريم قوم فأكرموه..... 92

فهرس المحتويات

مقدمة التحقيق..... ٦

أهمية علم التصوف ٧
التصوف الحقيقي..... ٨
التصوف عند أهل البيت عليهم السلام..... ١١
مؤلفات أهل البيت عليهم السلام في علم التصوف ١٢
هذا الكتاب ١٥
ترجمة المؤلف..... ١٦
نسبه..... ١٦
مولده..... ١٧
حياته العلمية..... ١٩
أساتذته..... ٢٣
دعوته..... ٢٤
الإمام في السجن..... ٢٦
الإمام والجهاد ٣٠
مؤلفاته..... ٣٣
الإمام والأدب..... ٣٧
مصادر الترجمة..... ٤٠
طريقة التحقيق..... ٤١

الفقه الاصطلاحي..... ٤٤

فصل: جملة ما ورد الشرع بتحريمه من أفعال القلوب ٤٥
فصل: الكبر..... ٤٦
جواز مدح النفس لإظهار نعمة الله تعالى..... ٥٤
أمور ليست من الكبر..... ٥٧

فصل: العجب ٥٩
فصل: الرياء ٦٢
الطاعة الخالصة ٦٥
التمدح بعمل الغير ٦٧
التقليل من الأكل ليقال عنه ٦٨
فصل: المباهاة ٦٩
فصل: المكاثرة ٧٠
المباهاة بقصد المصلحة ٧٢
التفاخر بالآباء والأقارب ٧٤
التطاول في رفع البنيان ٧٦
فصل: الحسد ٧٨
فصل:الغل والحقد ٨١
فصل:ظن السوء ٨١
قبح سوء الظن ٨٣
فصل: الموالاة والمعاداة ٨٦
حكم موالاة الكافر والفاسق ٨٨
تحريم معاداة المؤمن ٩٢
حكم المعاهدة بين المؤمن والفاسق ٩٤
تعظيم المؤمن ٩٦
حكم التقليد في الموالاة والمعاداة ٩٨
فصل:الحمية ١٠٠
حكم إيذاء المسلم ١٠٢
فصل: المداهنة ١٠٢
حكم إطعام الفاسق وأكل طعامه ١٠٤
جواز تعظيم الكافر والفاسق لمصلحة عامة ١٠٧
تحريم تعظيم الكافر والفاسق لمصلحة خاصة ١٠٩

جواز الوصول إلى الظلمة لنصحهم ١١٧
حكم تعظيم الظلمة ١٢٠
بدع المداهنة ١٢٠
حكم الدعاء للولاة والملوك ١٢٤
استعمال ألقاب التعظيم ١٢٦
فصل:حب الدنيا ١٢٧
حب الدنيا المنهي عنه ١٢٨
فصل:الجبن ١٣٠
البخل ١٣١
السرف والتقتير ١٣٢
مفهوم الزهد ١٣٣
فصل: الفرح ١٣٤
فصل: الجزع ١٣٥
فصل: الإخلاص ١٣٦
الخوف ١٣٩
المراجع ١٤٣
فهرس الآيات القرآنية ١٤٨
فهرس الأحاديث ١٥٧